القوى الخفية ..

بين الغيبيات .. و المعتقدات



الكتاب الثالث

لوسي يعقوب

مكتبة المحبة

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

القوة الخفية

بين الغيبيات والمعتقدات

الجزء الثالث

مكتبة المحبة

الأستاذة الكاتبة لوسي يعقوب


الكون
الفضاء
القمر
الكواكب
الخيال العلمى

– قصة الكون .. عجب .. وبهاء .. فالفضاء .. والقمر .. والكواكب .. والنجوم .. هذه القوى المغنـاطيسية .. والأشعة الكونية .. المبهرة .. بأسرارها الغامضة .. وهذا الإنسان الذى غزا الفضاء .. وتوصل بالعلم .. إلى ممارسة فهم ما فى الفضاء من ألغاز .. ؟ والحياة هناك .. كيف تكون .. هل تكون متعلقة بالحيـاة على الأرض .. بنفس الأعماق الأمينية .. ونفس البروتينات .. ونفس قـانون « الكيان الجينى » أم أنها ستكون مختلفة .. تمام الإختلاف .. ؟

كل هذه المعميات .. راودت الناس .. ككائنات مفكرة .. وكانوا دائماً .. يقبلون فكرة وجود حيوانات أخرى .. فى الفضاء البعيد .. !

وكان الجنس البشرى .. منذ فجر التاريخ يعتقد .. بوجود هياكل .. ومعابد للآلهة .. وحشود من المخلوقات الخرافية القادرة على السفر إلى ما وراء الكرة الأرضية .. كما كانت معروفة آنذاك .. ؟

وكان يجرى الربط .. بين الأجسام السماوية .. وأجسام .. أو كائنات حية .. ذكية .. وكانت تعتبر ككائنات منفصلة عن الرجال والنساء .. من سكان الأرض .. وإن كانت تبدى إهتماماً بهم أو أنها كانت تعتبر مقاراً للآلهة .. !

وحينما بدأ علماء الفلك .. يستخدمون (التليسكوبات) ثم أدوات أخرى فيما بعد .. ليدرسوا الأجسام السماوية .. ويعرفوا طبيعتها .. وحينما إكتشفوا .. المزيد عن الطبيعة المادية للقمر .. والكواكب التابعة للمجموعة الشمسية .. تغير الفكر الإنسانى .. إلى حد كبير .. !

ويؤكد لنا « إيريك بيرجس » فى كتابه « غزو الكوكب الأحمر » أن الناس

.. ما تزال تراودهم فكرة .. أن هناك كائنات حية من أشكال حياة كونية .. !

وبالرغم من إهتمام الناس .. الشديد .. باحتمالات وجود حياة .. فيما وراء .. – الكرة الأرضية – فإن المريخ .. قد ظل شأنه مهملاً .. ككوكب .. يحتمل أن يكون مـــأهولاً .. حتى منتصف القرن التاسع .. حينما أقام علماء الفلك الدليل .. على أن ليس هنـــاك حياة .. على سطح القمر .. وعندئذ .. بدأ الإهتمـــام يتحول تدريجياً .. إلى المريخ .. كموطن محتمل .. لكائنات ذكية .. !

وقد إستمر التكهن إلى حد كبير .. دون أى إعتراض .. لأنه مع أن التليسكوبات .. قد أماطت اللثام .. عن تفاصيل دقيقة عن القمر .. فإنها لم تحصل إلا على مشاهد ضبابية .. غير واضحة .. !

وقد تحدثت التقارير عن جهاز مكثف للضوء .. وصفة هذا الجهاز .. بأنه يسمح بتكبير الصور .. إلى درجة هائلة .. وقيل أن (سير وليم هيرشل) قد بدأ فى مراقبة السماوات الجنوبية بتليسكوب جديد ضخم .. من مدينة الكاب فى جنوب أفريقيا .. وقيل .. أن هيرشل قد إستطاع بهذه الأجهزة .. أن يرى .. مبان .. على القمر .. وحيوانات .. ورجالاً .. ونساء .. !

ولكن .. فضحت هذه الخدعة .. فى النهاية .

ويبدو القمر .. الذى يبلغ قطره – ١٦٠و٢ ميلاً (٤٧٦و٣ كيلو مترا) كقرص أكبر من قرص المريخ .. بمائة .. ضعف .. (مع أن قطر المريخ .. يبلغ ضعف قطر القمر) حتى عند أقرب نقطة إلى الأرض .. يصل إليها المريخ .

ويفترض كثير من المراقبين أن المناطق ذات الألوان الفاتحة .. هى مناطق صحراوية .. وأن المناطق ذات الألــوان الداكنة .. مناطق .. تكسوها الخضرة .. وإستخلصوا من ذلك كله .. أن الظروف الحيـــاتية .. على المريخ .. لا تختلف كثيراً عن ظروف الحياة على الأرض .. !

وللكوكب أيضـــاً مناطق قطبية .. ذات ألوان خفيفة .. ويعتقد علماء الفلك .. أنها مكسوة بالثلوج .. !

وفى الواقع .. كان بعض علماء الفلك الأوائل .. يظنون خطأ .. أن المناطق الداكنة .. ليست سوى (بحار) .. !

ولكن أصبح الشائع .. فيما بعد .. أن « المريخ » كوكب .. أشد برودة .. وجفافاً .. من الأرض .. وكل الناس .. يتكهنون .. بأنه قد يكون كوكب أكثر تقدماً .. وفيه درجة أعلى من الحضارة .. !

*❀**

وفى كتاب « أسرار القمر » « ليفان . م . فرنش » يوضح بعض التفسيرات عن تركيب القمر .. لو أنه كان قد تكّون على أنه (كوكب مزدوج) مع الأرض .. وأن الأرض .. قد جذبت القمر إليها .. بعد أن تكّون فى جهة أخرى .. وإذا ما كان القمر .. قد أسرته الأرض .. فمن الممكن تقدير الوقت الذى حدث فيه هذا الأسر .. فمن الأمور المعروفة جيداً .. دوار القمر .. وحركته التدريجية فى الإبتعاد عن الأرض .. فإذا أمكن عمل حساب هذه الحركات على مدى الحقبة الطويلة .. للعصر الجيولوجى .. إتضح .. أن مدار القمر .. والمسافة بين الأرض والقمر .. قد إنتابهما خلال تلك الفكرة ..

تغييرات فجائية وحادة .. منذ حوالى – ٥و١ – إلى – بليونى سنة – ويقال أن هذا التغيير المفاجيء .. يمثل الزمن .. الذى أسر فيه القمر إلى الأرض .. وتتضمن هذه النظرية .. القول .. بأن نظام (الأرض – القمر) ليس قديماً قدم الأرض نفسها .. وأن القمر قد أسر .. بعد مدة طويلة .. من تكوين الصخور الأرضية .. التى ما تزال موجودة .

وإلى أن يتم فعلاً .. تحليل الصخور القمرية .. وتحديد أعمارها .. تعتمد جميع النظريات التى تدور حول تفسير منشأ القمر .. على ظواهر .. أو عمليات غير مؤكدة .. على إفتراضات لا يمكن إثباتها .. وحسابات رياضية معقدة .. والأفكار المحفوفة بالأخطار لتصورات على أنها حقيقة مبنية .. على معلومات ،، تتصل ببلايين من السنوات الماضية .

* * * *

ويقول المؤلف .. أنه قد بقى الشيء الكثير .. بالنسبة للجانب القريب من القمر إلا أن الجانب البعيد لم يستكشف بعد .. وعلى كل .. فهناك حل أبسط وأقل تكلفة من إنزال سفينة الفضاء فى الجانب البعيد من القمر .. وهو أن يوضع قمر صناعى .. فى مدار .. فوق الجانب البعيد من القمر حيث يمكن أن ترى الأرض .. والجانب البعيد من القمر .. فى نفس الوقت .. ولحسن الحظ .. فقد قامت الطبيعة بغالبية العمل الضرورى .. نيابة عنا .. فعلى مسافة بعد القمر .. هناك نقطة يجتمع فيها المجالان المغناطيسيان (للأرض والقمر) بطريقة تمكن قمراً صناعياً .. موجـــوداً هنـــاك .. أن يبقى فى

تلك النقطة دائمــاً ويستمر .. فوق الجــانب البعيد للقمر . كلما دار القمر .. فى فلكه .. !

لقد جاء برنامج « أبوللو » بعهد جديد .. فى دراسة الأقمار .. الذى يعتمد على رصدها من الأرض .. فلأول مرة .. فى التــاريخ .. يمكن للإنسان أن يوجه (تليسكوباته) إلى عالم آخر .. تحددت معـــالم سطحه . بموجب العينـات التى جلبها معهم .. رواد الفضـــاء .. ومظاهر سطحه .. وقد تمت دراستهـــا على مدى قريب .. فباستخدام المقـــاييس التى أتاحها « برنامج أبوللو » يمكن لعلماء الفلك .. أن يحددوا الآن .. التكوين الكيمائى والتضاريس .. وتدفق الحرارة .. وطبيعة الطبقة السطحية فى الجزء المقابل للأرض .. من القمر كله .. !

لقد تغيرت الآن .. عملية إستكشاف القمر .. من تحد .. لأشياء مجهولة للغاية .. إلى عملية هندسية معروفة .. ولم يعد ما يحدد الإستكشاف فى القمر فى المستقبل هو الجهل وعدم الثقة بالنسبة للكون .. بل مع ما لدينا من رغبة ومقدرة .. وأموال .. !

وفى هذا الزمن .. الذى تلى .. « برنــامج » أبوللو » أصبح القمر لحد كبير .. معروفاً .. كالأرض .. وأصبحت الكواكب الأخرى .. معروفة تماماً .. مثلما كان القمر .. منذ عشرة سنوات .. ولم يعد القمر كوكباً آخر .. لنا بل أصبح قاعدة .. ومكاناً مألوفاً .. ولم يعد بعد هدفاً .. لكن محطة فى الطريق إلى عمليات إستكشاف مستمرة .. !

أيضاً .. نرى الآن .. أن لدى الروس .. الخبرة الوحيدة .. بالنسبة

للعربات القمرية العاملة .. بدون إنسان .. فبعض من بعثات .. لونا) – أنزلت برفق عربة ذات عجلات تدعى (لونو خولد) (أى السيارة السائرة) بدلاً من إحضار عينات .. وقد سارت العربة على سطح القمر تحت رقابة أرضية مرسلة .. إليها .. صوراً تليفزيونية وبيانات عن خصائص السطح الكيماوية والطبيعية .. !

❀✲

ولقد بدأ الإنسان .. فى مطلع القرن العشرين .. مرحلة عظيمة .. فى التقدم العلمى .. والتكنولوجى .. وتعرض العالم .. لتغيرات هائلة .. خلال الخمسين عاماً .. الماضية .. فاستطاع الإنسان أن يصل إلى القمر .. ويسير على سطحه .. وبرغم كل هذا التقدم .. فمازال هناك .. هذا الجزء .. القدرى الغامض من مصيره .. والذى يسيطر على حياة الإنسان .. ويريد كل فرد منا أن يعرف الكثير عن المؤثرات التى تتحكم فى توجيه حياته اليومية .. مثل .. تأثير الكواكب .. والأبراج .. والشمس والقمر .. على حياته .. ومصيره .. ويعتقد أن إرتباط سلوك الإنسان .. هو .. بإرتباط الكواكب .. وهى فكرة .. أو عقيدة .. يؤمن بها كثير من الناس .. من غير المنجمين ممن لا علاقة لهم عن قريب أو بعيد .. فهل حقيقة يمكن إخضاع هذه الكواكب .. بالتجربة .. والدراســة .. !

وهل حقاً .. تتحكم الكواكب .. فى مصير حياة الإنسان .. على الأرض .. وتحدد سعادته .. أو شقائه .. فى هذه الحياة .. منذ لحظة ميلاده .. !

وسوف نحاول هنا أن ننشر فقط جزء من تحليل علمى .. فلكى عالمى ..

للكواكب والأبراج .. ليس باقتناع وإنما للتبصير بما يحلل عالميا .. !

وفى هذا التحليل الفلكى .. يركز على تأثير القمر .. الذى سبق وأوضحنا بعض خصائصه من دراسات علمية ثابتة .. أما عن الكواكب .. فإن هذا التحليل يقول أن القمر هو من أشد المؤثرات المرتبطة .. بالإنسان .. وبالكواكب فلقد كان القدماء .. أول من ربط بين أوجه القمر .. وبين التصرفات المحيرة للمرأة .. وهكذا صار القمر .. يرتبط بالسلوك الأنثوى .. من حيث العواطف المختلفة للمرأة .. والتعبيرات الخاصة بها .. كالإنفعالات مثلاً .. أو الرغبات .. أو الأحاسيس .. !

والعلاقة بين الشمس والقمر .. ترمز إلى العلاقة .. بين الرجل والمرأة .. والدورة القمرية .. هى تغيرات دورية مع الهلال .. للربع الأول.. ومن البدر .. للربع الأخير .. ويمثل بداية جديدة .. بذر حبوب جديدة .. حيث إحتمالات النمو .. والإستثارة العقلية .. والروحية .. !

وكل شىء .. يبدأ فى حركته .. مع القمر الجديد .. !

وتنقسم كل دورة إتصالات .. إلى مجالين .. ففى خلال النصف الأول أو .. دورة التزايد القمرية .. يكون الوقت مناسباً جداً .. لبدء مشاريع جديدة وأفكار جديدة .. وتمثل دورة التناقض .. الوقت المناسب .. لتنفيذ الخبرات العملية .. ومتابعتها .. وعلى هذا .. يمكن القول .. بأن القمر .. هو الوسيلة التى تعكس القوة .. التى تتلقاها من الشمس .. تعكسها على الأرض .. فتطلق قوى شمسية .. تساعد على النمو .. المادى .. والروحى .. للمخلوقات الأرضية .. !

ويمر القمر .. عبر كل برج .. من دائرة البروج .. بحوالي ـــ ٢ يوم .. من كل شهر .. وخلال هذه الفترة .. يكون للقمر .. تأثير قوى .. في كل برج من الأبراج .. بالتوالي .. !

وبالنسبة للكواكب .. فيتكون النظام الشمسي .. من الشمس .. التي تدور حولها الكواكب .. (وتشمل الأرض .. وتابعها القمر) وتسمى الشمس والقمر .. عادة في علم النجوم التطبيقي . باسم (النيرين) .

ولكل كوكب .. علامة تدل عليه .. وتناظرات .. وعلاقات خاصة .. مع بيوت النجوم .. وبروج دائرة البروج .. ولكل كوكب أيضاً حركته الدائرية .. الخاصة .. ودور الكواكب مهم جداً .. لأنها تؤثر في خريطة .. البروج الشخصية .. وفي التنبؤات المحلية .. والعالمية .. !

ومن المفيد أن تكون معرفتنا بالكواكب سليمة .. لذا سوف نوضح تأثير كل كوكب .. كما حلله علماء الفلك .. على الأشخاص الذي ينتمون إليه :

والكواكب كما يذكرونها هي :

– الشمس – القمر – عطارد – الزهرة – المريخ – المشترى – زحل – أورانوس – نبتون – بلوتو .

– والشمس : ترمز إلى الحياة – الملك – الرئيس – القائد – الأب – الإشعاع – الإنتشار – السلطة ..

والقمر يرمز إلى الخصوبة .. والمرأة .. باعتبارها الزوجة .. والأم في العائلة .. وإلى العذراء – الأم الروحية .. الجماهير – الناس .

النفس – العقل الباطن والظاهر .. !

– **وعطارد** : يرمز إلى الشباب : الأخوه الصغار – أولاد العم والخال .. الجيران – الوسطاء الروحانيين !

– **الزهرة** : ترمز إلى الفنون .. الجمال .. في كل صوره .. المحظية – العشيقة – الصديقة – الأنثى للفنان .. !

– **المريخ** : يرمز إلى الحيوية .. والرجولة – الكفاح – الحركة – الحرب – العاشق – الرائد – القائد – !

– **المشترى** : يرمز إلى المناصب العليا للدولة .. إدارية ودينية – المستعمرون – القضاة – المشرعون – رجال القانون – أصحاب الإمتيازات – الوصاية – الصديق الكريم .

– **زحل** : يرمز إلى الزهد – رجال الدين – المعرفة الواسعة – الساحر – الحاوى – الكهول – الجدود – ويرمز إلى الدمار – الأماكن المهجورة – الهجر – المحاكمات .

– **اورانوس** : يرمز إلى الأصدقاء – الأقارب – المجهول – التحول – التعديل – التقدم .

– **نبتون** : يرمز إلى الجماعة – التصوف – الوساطة – المحيط – الحيرة – المخدرات .

– **بلوتو** : يرمز إلى .. إحساس كامن بالعدالة .. فوضى طبيعية – مصائب – تغيرات نفسية .. !

✲ ✱ ❀ ✱

– **أما البروج** : وتكوين شخصياتها .. والصفات المميزة لها .. كما يحددها هذا التحليل العلمى .. العالمى .. فهى .

– **الحمل** : الشجاعة – أو الإندفاع

– **الثور** : الصبر – أو العناد .

– **الجوزاء** : القدرة على التكيف – أو .. الإنغماس فى الملذات .

– **السرطان** : فكر متفتح – أو إنغماس فى المللذات

– **الأسد** : النبل – أو – الغرور

– **العذراء** : الرعاية .. أو – النقد

– **الميزان** : العدالة .. أو – التردد

– **العقرب** : قوة الإرادة – أو – الغيرة .

– **القوس** : النظام – أو التهور .

– **الجدى** : التأمل .. أو : التشاؤم

– **الدلو** : التجديد .. أو – الفوضى .

– **الحوت** : – الإخلاص .. أو : لا مبالاة ..

ويمكن معرفة أو الإستدلال على الصفات المميزة للأشخاص .. بمعرفة البرج الذى إنعكست منه أشعة الشمس يوم ميلاد الشخص .

وإلى جانب الشمس .. والقمر .. والكواكب .. فإن علم أحكام النجوم يدخل فى إعتباره المواد الأولية الأربعة الطبيعية – النار – والتراب – والهواء – والماء – بالإضافة إلى ثلاث صفات – تحكم هذه المواد .. وتسمى .. بالمتقلبة .. والثابتة .. والمتجسدة .. !

وتتكون البروج الاثناعشر .. من توافقات لتلك العوامل المختلفة .. وتسمى كل مجموعة مكونة من ثلاثة بروج تشترك فى مادة أولية واحدة . (الثلاثية)

كذلك فإن كل مجموعة من أربعة بروج ولها نفس الصفات .. يطلق عليها إسم الرباعية .. !

ولقد قال د . كارل يونج : « إن علم أحكام النجوم .. علم يؤيده علم النفس .. دون أى قيود .. لأن علم أحكام النجوم .. يمثل كل المعرفة .. السيكولوجية .. لماسبق من العصور .. !

ولقد قال « نيوتن » أن كل ذرة فى العالم .. تؤثر فى كل ذرة أخرى .. كما أن الأرض تدور مرة كل عام .. حول الشمس فى مدار دائرى .. وتدور حول الشمس .. ثمانية كواكب أخرى .. معروفة .. هى عطارد والزهرة .. والمشترى وزحل .. ونبتون واورانوس وبلوتو .. والمريخ .. وذلك فى مدارات على نفس مستوى مدار الأرض .. ؟

ويشير المنجمون .. إلى الشمس باعتبارها كوكبا .. للبعد عن التعقيد .. ولحركة الشمس عبر ١٢ برجاً .. داخل البروج الفلكية .. تأثير مهم جداً .. فى علم « أحكام النجوم » .. وعلم « أحكام النجوم » (الاسترولوجى) من أقدم العلوم المعروفة للإنســان .. وعلى المستوى التاريخى .. نجد أن هذا العلم .. من أرقى المعالم الذهنية فى كل العصور .. ؟

لقد بدأ علم « أحكام النجوم » .. فى بلاد .. ما بين النهرين « العراق حالياً » .. وكان فى ذلك الوقت مرتبطاً بالفلك .. الذى نشأ بسبب رغبة ... الناس فى إيجاد نظام للتوقيت .. ومنذ ذلك التاريخ .. كان لعلم .. « أحكام النجوم » تأثير كبير على العرب .. ثم على اليونانيين .. وكلمة (استرولوجى) تعنى .. (علم النجوم) وهى ذات أصل إغريقى .. رغم أن الإغريق استقوا

معظم معلوماتهم من البابليين .. والأشوريين .. والكلدانيين .. والسامرائيين .. الذين كانوا يمتلكون قدرات متقدمة فى العلوم والطب .. والفلسفة .. وقد سافر الفلاسفة اليونانيون إلى بابل .. لدراسة الفلك .. وعلم .. « أحكام النجوم » .. ؟

وقد نسب إلى الكلدانيين .. نظام « دورات الحياة » فى شئون الناس .. والدول .. واطلق على هذا النظام اسم .. « ساروس » وقد انتشر نفوذ علم أحـكام النجوم الكلدانى .. حتى وصل إلى الهند .. والصين .. والهند الصينية .. ويقال أيضاً أنه وصل إلى الأمريكيتين .. ؟

ويبدو أن انتشار علم .. « أحكام النجوم » قد تضاءل فى القرن السادس قبل الميلاد .. إلا فى مصر .. فقد سقطت (بابل) .. وصارت السماء تراقب فقط .. لتحديد الوقت .. لا للتنبؤ السياسى .. أو الاقتصادى .. ؟

وقد أسهم المصريون فى أرتقـــاء علم « أحكام النجوم » وأنشـــأوا نتيجة تضم ١٢ شهراً .. كل شهر من ٣٠ يومـــاً وتضاف خمسة أيام أخرى كل عام .. ؟

وقد نقل الإغريق هذه النتيجـــة واستعملوها فى الرصـــــد الفلكى .. وكان الإغريق يتقـــدمون سريعاً خلال هذه الفترة فى علم الفلك .. فكـــان « فيثاغورس » وأتباعه .. يرون العـــالم .. أشبه بنظام من العلاقات المتشابكة .. وعموماً .. ينسب إلى « فيثاغورس » فضل اكتشاف كروية الأرض .. ؟

ومع تطور أساليب الإتصال بين الإغريق والأجناس الأخرى .. بدأت

الثقافة الإغريقية تنتشر وظهر المتخصصون فى علم أحكام النجوم .. فى أماكن بعيدة .. مثل روما .. ؟

وقد قاوم العرافون .. إحياء علم أحكام النجوم .. إلا واحداً .. هو « نيجيديوس فيجولس » وكان صاحب علم وثقافة .. فقد عضد إحياء العلم .. وعليه .. فقد عرف الرومان .. دائرة .. « البروج الإغريقية » .. ؟

وقد حقق علم أحكام النجوم .. مكانة ممتازة فى عصر البطالسة .. وفى الإمبراطورية الرومانية .. بعد أن عضّده البطالسة .. وفى الامبراطورية الرومانية .. بعد أن عضّده الأباطرة الرومان الأوائل .. وكان بطليموس نفسه .. أحد علماء هذا العلم .. وقد كتب كتاباً شهيراً فى الفلك .. تضمن جميع انجازات علم « أحكام النجوم » القديم .. وفى عام / ٥٢ بعد الميلاد .. وتحت لواء الإمبراطور « كلوديوس » ثم نفى المشتغلين بعلم « أحـكام النجوم » من مدينة روما .. خوفـــاً من تأثيرهم على عامة الناس .. ؟ وكان ظهور المسيحية .. سبباً فى حدوث فترة (أخذ ورد) فى هذا العلم .. فلم يعارضه كل المسيحيين .. باعتبار أنه غير علمى .. ولكنهم اعتبروه مخلاً بالأخلاق .. فقد ظن المسيحيون أن ما ينسب إلى الكواكب من تأثير قد يفسر على أنه لون من التدخل فى « القدرة الإلهية » وكان « لأوجستين » أثر هائل .. فى تطور المسيحية .. وحيث أنه كان فيلسوفاً للكنيســة .. فإن كلمته كانت قانوناً .. غير أنه .. رغم معارضته الشـــديدة لعلم « أحكام النجوم » استمر أتباع ذلك العلم .. يؤمنون به .. وقد عضّده مثلاً .. أسقف الإسكندرية .. « سيينسون » مؤيداً كلامه .. بحقيقـــة أن التاريخ يكرر

نفسه .. لأن النجوم تعود إلى نفس .. مواضعها الأولى .. ؟

وظل اسم « علم الفلك » وعلم « أحكام النجوم » مترادفين طوال العصور الوثنية القديمة .. ولم تبدأ التفرقة بينهما إلا خلال القرون الأولى .. للعصر المسيحى .. ومع ذلك .. ورغم رفض علماء الدين المسيحى .. لعلم « أحكام النجوم » فقد إستمر الحساب بالأسبوع الفلكى .. وأيامه السبعة .. المسماة بأسماء الشمس .. والقمر .. والكواكب .. وبه تم تحديد ميلاد المسيح مما يوحى بأن الإيمان بعلم أحكام النجوم .. لم يهتز تماماً .. !

وبصرف النظر عن النقد الموجه إلى علم « أحكـام النجوم » خلال العصور المختلفة .. فقد ظل حجر الزاوية التى بنيت عليها الثقافة والدين .. والقانون .. والعلم .. وقد إستمال بعضاً من ألمع العقليات فى الأجيال المختلفة .. فنجـد من بين معضديه .. « كونفوشيوس .. وأرسطو .. وشيشرون .. وفيرجيل – ودانتى – وأفلاطون – وميلتون – ودرايدن – وفيثاغورس – وأبوقراط أبو الطب .. وقد أبدى كثير من العلماء والفلكيين .. إهتماماً خاصاً به .. مثل « جون كيبلر » وكوبرنيكوس – وجاليليو – وسير إيزاك نيوتن .. !

وقد تحدث « أبو قراط » عن وجود علاقات بين الفلك والأحداث .. أو الدورات الزمنية سواء كان ذلك متعلقاً بالكره الأرضية .. أو ما عليها من أحياء .. ويقال أن حجر أساس المرصد الملكى الأصلى .. والذى تم بناؤه على طلب الفلكى (جون فليمستند) قد وضع فى وقت تم إختياره .. بناء على دراسات فلكية .. قام بها .. « فليمستد » نفسه .. ولهذا .. لا يمكن إغفال علم أحكام النجوم .. بسهولة ..!

واليوم .. وقد فتح العلماء .. أبواب إستكشاف كواكب جديدة .. نلحظ إقتراباً أكاديمياً .. « لعلم أحكام النجوم » فقد إستمر هذا العلم .. يعيش عبر العصور .. ونجد أنه يلقى فى عصرنا هذا .. تأييداً .. وإعترافاً يفوق ما لقيه فى فترات أخرى كثيرة .. ولعله لم يلق تأييـداً مماثلاً منذ عصر البابليين .. فهذا العلم .. ومما لا شـك فيه .. يعكس قوانين الطبيعة .. ويحتوى على كثير من المعلومات القيمة .. فى مجال تاريخ الإنسانية .. !

فى كتاب (قصة الكون .. عجب وبهاء لكيفورد د . سيماك) وتحليل للنجوم .. يقول أن :

« الكوكبات عبارة عن تجمع تخيلى من النجوم : رأى فيه الأقدمون .. أو تخيلوا أنهم رأوا فيه صوره ما .. ولا تظهر هذه الصـور واضحة لأغلب الناس .. وبعض الكوكبات .. واضحة جداً .. ويمكن من مشاهدتها حتى بدون سابق معرفة .. وإن كان هذا البعض .. قليل جداً .. !

وكوكبة « الدب الأكبر » هى إحدى الكوكبات المألوفة .. وكوكبة ذات الكرسى .. التى إشتقت إسمها من إحدى ملكات الأساطير القديمة .. تظهر على شكل حرف W أو M – معلق فى السماء .. وبرج الجبار .. يصور – صياداً .. وحديثاً .. يعتبر جزء منه على شكل ساعة زجاجية .. مزودة بعدسة على جانبيها .. وبعد تحديد النجوم التى تكون الكوكبة فإنها تصبح مألوفة لديك .. حتى وإن كانت فى الحقيقة لا تمثل الصورة التى تخيلها الأقدمون .. واذا أردت تمييز موقع نجوم معينة فى السماء .. ولو بطريقة عامة .. فإن ذلك يقتضى معرفة بعض الشىء .. بالكوكبات .. لأن تسمية النجوم .. مرتبطة بالكوكبات التى تحتويها .. !

وبصرف النظر عن الشكل الذى تصنعه .. فليس هناك علاقة بين نجوم كوكبة ما .. والكوكبات تكون هذا الشكل الذى تبدو عليه .. فقط لأنها جميعاً على هذا الشكل أمامنا فى الكون .. وفى خط البصر .. ولكل نجم .. أو جسم سماوى .. « رمز » وإن كان القليل منها .. ما يعتقد بأنه « أسماء » وكل النجوم اللامعة .. التى يمكن رؤيتها .. بالعين المجردة .. إشتقت أسماءها .. من قبل الإغريق .. والعرب .. أو شعوب الحضارات القديمة الأخرى .. فقلب العقرب .. والديران .. وإبط الجوزاء .. والذنب .. والنسر الواقع .. والعيوق .. هى أسماء أطلقت على النجوم منذ قرون .. ولهذه النجوم أيضاً ما يمكن أن نسميه رموزاً فلكية .. لها علاقة بالكوكبة أو البرج الذى يوجد به .. النجم المقصود .. « فالشعرى اليمانية » هى « ألفا الكلب الأكبر » .. لأنها ألمع نجم فى كوكبة الكلب الأكبر .. لكن هذه الطريقة فى تسمية النجم الألمع .. بإسم « ألفا » وما يليه فى اللمعان .. « بيتا » ثم « جاما » الخ ... خلال الأبجدية الإغريقية .. قد إنتابها الإضطراب .. بعد تطوير المناظير الفلكية الكبيرة .. فقد مكنت هذه المناظير من رؤية نجوم خافتة .. كثيرة .. فى أو .. بالقرب من مركز الكوكبة .. لم تكفها « الحروف الإغريقية » لذلك إستعمل الفلكيون الحروف الرومانية .. حتى استنفذت . فلجئوا إلى الأرقام .. وإذا تأكد أن بعض النجوم متغيرة اللمعان . تم إستخدام حروف رومانية مزدوجة ..

فالحرف (V) متبوعاً بعدد .. يدل على رمز لنجم متغير .. من كل هذا يبدو واضحاً .. بعض الفائدة .. من وراء أسماء النجوم .. وأحسن طريقة هى .. أخذ هذه الرموز .. كما هى .. كقضية مسلم بها .. !

وربما كان أهم ما يجب التحقق منه .. بالنسبة للنجوم قبل أى شىء آخر .. هو تعقيدها .. وعدم وجود سحر بها ... فهى تعمل فى إطار قوانين كيمائية .. وفيزيائية محددة .. تماماً .. مثل الأرض .. والشمس .. كما أننا نسير مع كل ما حولنا .. على نفس هذه القوانين .. ولكل ما يحيط بنا .. من الذرة .. إلى الكون .. خطوط نظام ثابت .. وأسباب محددة .. فكل شىء يتبع قواعد علمية .. تفهم بعضها فقط .. وليس جميعها .. !

إن النجوم قد تبدو حالياً بعيدة .. وفى غير متناول الإنسان .. ولكن .. ربما يأتى اليوم الذى يزورها فيه .. آدميون .. قاطعون بذلك .. السنين الضوئية .. فى الكون .. بآلات .. يجوب سلفها الآن فى السماء .. قاصداً .. القمر .. والمريخ .. والزهرة .. !

وقد تبدو هذه .. أحلام رائعة .. !

ويقول المؤلف .. ؟

ولكن .. تصوروا .. ما كان من الممكن أن يقوله « جورج واشنطون » لو أن أحداً .. أخبره ذات يوم .. بأن بشراً فى طريقهم إلى القمر .. وربما نفس

الشيء .. بالنسبة للسفر إلى النجوم .. هذا بالرغم من أن الفترة الزمنية منذ جورج واشنطون .. حتى الآن .. أقل من ٢٠٠ سنة .. ؟

إن مائتي سنة أخرى .. كفيلة بأن تصل بالإنسان لرحلات النجوم .. إن لم يكن في طريقه الآن فعلاً .. !

*❀**

ونتطلع نحن دائماً إلى السماء .. نعد النجوم .. ونتأملها .. ونتوه في أسرارها .. في معجزات .. لا ندري مصدرها .. سوى أنها من فعل الخالق الوهاب .. الإله الذي خلق هذا الكون .. بكل جماله .. وغموضه .. وأسراره التي يعجز عن فهمها البشر مهما وصل من علم .. وفكر .. وتكنولوجيا .. فأسرار الكون سر من أسرار الإله .. وإن كان العلم قد تدخل بالفعل في كشف غموض وأسرار هذا الكون إلا أنه هيهات .. هيهات أن يتدخل في صنع الخالق .. حتى وإن جعلوا للنجوم أسماءً ورموزاً .. وأدخلوها في الكواكب .. كما سبق وأشرنا .. مثل – نجوم – T – (الثور) – وغيرها – فإننا لسنا نقدم بحثاً عن أسماء النجوم أو أسرارها .. بل نحاول قدر الإمكان أن نشير إلى ما للنجوم من أهمية وإهتمام بها .. وبمعانيها ودلالاتها .. وإننا نعرف كلنا – ذلك النجم الهادي .. الذي سار أمام المجوس الذين أتوا

من المشرق إلى أورشليم .. فى أيام هيرودس الملك قائلين : أين هو المولود .. فإننا قد رأينا نجمه فى المشرق .. وأتينا لنسجد له .. ؟

حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً .. وتحقق منهم زمان النجم .. الذى ظهر .. ثم أرسلهم إلى بيت لحم .. وقال « إذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى .. ومتى وجدتموه فأخبرونى .. لكى آتى أيضاً وأسجد له .. فلما سمعوا ذلك من الملك .. ذهبوا .. وإذا بالنجم الذى رأوه .. وساروا وراءه .. حتى أتى بهم هادياً إلى البيت .. ورأوا الصبى مع أمه مريم .. فخروا .. وسجدوا له .. وقدموا له .. هداياهم .. ذهباً .. ولباناً .. ومراً .. !

ثم أوحى إليهم فى حلم .. أن لا يرجعوا .. بل يسيروا فى طريق آخر .. إلى كورتهم .. !

* * * *

وتقودنا .. دراسة النجوم .. والفلك .. والتطور العلمى المذهل .. فى هذه .. العلوم الإنسانية إلى لون آخر من « الخيال العلمى » .. ففى عصرنا الحديث .. تغيرت العقلية الإنسانية .. بمساعدة الثورات العلمية .. والإنجازات التكنولوجية .. وقد فاق العلم .. تصور أصحاب الخيال .. الحالمين بالمجتمعات التى تحقق السعاده المثلى للإنسان .. أو المتبنئين بالمجتمعات الميكانيكية .. وبالرغم من كل هذا التقدم التكنولوجى .. بجانب إجتهادات

العلماء فى الوصول إلى حلول لأكثر المشكلات تعقداً وغموضاً .. فمازال الكون أمامنا .. حافلاً بالأسرار .. والألغاز .. ومازلنا نصطدم .ببعض ظواهر طبيعية وبيولوجية .. وفلكية .. ومازالت أمامنا منطقة مجهولة فى خريطة الكون .. فماذا يحدث .. إذا وقف الإنسان الحديث حائراً أمام إحدى هذه الظواهر .. ؟

فى كل هذا نجد أن كتاب « الإبداع الفنى فى قصص الخيال العلمى » للدكتورة عزة غنام قدم لنا .. نماذجاً مما سيكون عليه التطور الفكرى .. والخيال العلمى للإنسان فى ظل هذه الطفرة العلمية الإنسانية .. فى عوالم شائقة من التصورات الإبداعية .. فى قصص وروايات .. تؤكد وتؤيد .. ظهور هذه الخوارق .. منها على سبيل المثال .. رواية « الكوكب الملعون » لإيهاب الأزهرى .. وهى رؤية أسطورية حديثة .. فى تشكيل عالم الفضاء .. ويجرى فيها حواراً علمياً .. وخيـالياً فى آن واحد .. معتمداً فيها على إنجازات العلم الحديث .. وإستجابة للتحدى الحضارى الذى يواجه البشر .. فقد بنى روايته على عقد لقاء .. بين سكان كوكب الأرض .. وسكان كوكب المريخ .. فى عام سنة ١٩٩٢ .. !

أما بالنسبة للخيال العلمى .. عند « نهاد شريف » ففى قصصه القصيرة .. « رقم ٤ يأمركم » تدور على فكرة الصراع بين قوى .. تستخدم العلم ..

لقهر الإنسان .. وإخرى تستخدمه للقضاء على القهر .. والإنتصار يكون غالباً فى جانب القوى الأخيرة .. إنه بريد أن يكشف القناع عن أخطار التقدم العلمي .. والتكنولوجي فى مجالات الفتك .. ومجالات الدمار والإفناء .. منها .. فكرته عن سيادة الإنسان الآلي على الأرض .. بعد إختراع الإنسان له .. ولكن الإنســان الآلى .. ثار على خالقه .. لأن الناس تنافسوا فيما بينهم .. وتقاتلوا .. مما أدى إلى الفناء الذرى .. !

والكــاتب يشير فى مجموعته إلى التطور المذهل لعــالمنا الذى نعيش فيه .. وهو يحمل لنا بالفعل هموم الكــاتب الحقيقية .. ومشاعره تجاه ما سيحدث للعــالم من تغيرات خــلال السنوات القادمة .. فهل العلم سيحل كل المشكلات .. !

إنه يبدى قلقه .. وتوجسه من الفناء المتوقع .. وتساءل أيضاً .. عن بشاعة الصورة .. وهولها .. حين تقوم حرب نووية عالمية . ثالثة .. وصورة الحياة فى أعقابها .. أو صورة الحياة .. إذا حل العصر الجليدى المتوقع .. إن الخيال العلمى .. يؤكد .. إن التطور العلمى .. ربما يكون نعمة .. وربما يكون نقمــة .. فهو نقمة فى يد الحكم .. النزيهة .. ونقمة فى يد تجار الحروب .. ففيه إستعباد للإنسانية .. ودمارها .. وسحق للشعوب الآمنة .. ولحضارتها .. فإن إنتصروا فى البداية .. كما حدث فى قصص « نهاد

شريف » فإن الحق سوف ينتصر فى النهاية .. !

وخيال الكاتب يجعله يسجل أحداث القصة فى القرن الواحد والعشرين حيث التقدم العلمى الرهيب فى الأسلحة .ومصانع لقطع غيار البشر .. وطلقات الليزر .. وهذا ما يسمى « بالخيال العلمى »

* * * *

– والكتابة فى الخيال العلمى .. نجد أن « توفيق الحكيم » من أكثر المفكرين .. سباحة مع هذا اللون من الخيال .. فهو يتخيل العالم فى قصته « فى سنة مليون » ؟

وكما تقول المؤلفة : « أنه فيما يتعلق بعناية الكتاب بالخيال العلمى .. فى القصة القصيرة نجد أن توفيق الحكيم له فضل السبق فى هذا النوع من القصص القصيرة .. فهذه القصة تحمل رؤية غريبة .. لما يمكن أن تحدث للعالم بعد مليون سنة .. فلا حروب .. ولا مرض .. ولا موت بعد أن تغلب العلم على الموت .. ولم يعد هناك قوم يموتون .. العلم هو الذى يجهز بكتريا النسل الآدمى .. فى معامله .. أصبح البشر .. شأنهم شأن عناصر الطبيعة الخالدة .. التى لا تتغير .. كلمة « الشيخوخة » لم يعد لها مدلول .. فى لغة العصر .. ولا كلمة الشباب .. !

« وفجأة .. يعثر أحد علماء طبقات الأرض .. على جمجمة آدمية .. فيقدمها إلى صديقه الكيمائى .. الذى يقف مندهشاً أمام هذه الرأس .. التى تجردت من اللحم « والدم والشرايين .. « وظهرت على وجه العالم الكيمائى .. عين الحيرة .. التى ظهرت على وجه قابيل .. يوم رأى الموت لأول مرة .. ينخر فى هابيل .. المقتول » .. !

ويرجع عـالم الجيولوجيا .. إن هذا إنسان .. ولكن .. كيف وصل إلى هذه الحالة . حاول أن يكشف السر .. وتطرق مع العالم الكيمائى .. فى مناقشات عن الحركة .. والجمود .. والمستقبل .. فكلمة المستقبل .. عجيبة الوقع .. على آذان القوم .. فى ذلك العصر .. فليس هناك غد .. ولا ليل .. ولا نهار .. ولا نوم .. فالضوء الصناعى .. أغناهم عن الشمس إنهم فى حركة دائمة .. كحركة القلب .. لا تعرف الهمود .. ولا الجمود .. لا يتعرفون إلا على الحاضر الذى يبسط جناحيه الهائلين .. على أحقاب تبدو لكيانهم الخالد .. كأنها يوم واحد .. !

وهنا .. تبرز عند عالم الجيولوجيا .. كلمة « العدم » .. ليعرض عليهم الأمر .. وما نطق به من ألفاظ غريبة المعنى .. مبهمة المرمى .. !

وتلقوا الخبر .. بدهشة .. وطلبوا حضوره .. فلما مثل أمامهم .. سألوه بياناً عن تصريحاته .. فيعرض عليهم فكرته عن الموت بقوله :

« ألم يشعر أحدكم مرة .. بإغفاءة طارئة .. عابرة .. لخفقة الجفن .. أحس خلالها لذة وراحة .. من نوع غريب .. ؟ هذه اللمحة .. يمكن أن تطول .. ويمكن أن تمتد على مر الزمن .. حتى تصبح « عدم وجود » .. وتنقلب إلى ذلك الشيء الذى أسميه .. « الموت » .. !

أيقن العلمـاء .. أن زميلهم جمح به الخيـال .. وطالبوه أن يقدم برهاناً .. فيظهر لهم الجمجمة .. فيفحصونها دهشين .. ثم ما لبثوا أن تبادلوا نظرات السخرية والشك .. وأجمعوا على أن أقوام ما قبل التاريخ .. كانوا يصنعون الهيكل الآدمى صنعاً .. وهذه العظـام .. كانت (مشروع) خلق آدمى لم يتم صنعه .. ويحذره العلماء .. من المضى فى مثل هذه الترهـات .. خوفاً على بسطاء العقول فى المجتمع .. !

وهناك .. يلجأ عالم الجيولوجيا .. إلى النوع الألطف .. والأرق .. من البشر .. الذى كان يطلق عليه « الأنثى » منذ خمسمائة ألف سنة .. وقد زالت الفروق بينهما على مر السنين .. فقد صار أشبه بنوع واحد .. ولم يعد المجتمع يميز بينهما .. إلا بالرقة .. واللطف فى التركيب .. !

ويروى لصديقه اللطيف القصة .. ويعرض عليه الجمجمة .. مع تصوره عن فكرة .. « الموت » ويجد صعوبة فى أن يصور لصديقه ما يخامره من إحساس لأنهم لا يعرفون الحدود الزمنية .. فهم بلا ذاكرة .. لا يعرفون

الماضى .. ولا التاريخ .. حتى كلمة .. « الحب » فقدت معناها .. منذ مئات السنين .. بعد إنعدام الميل الغريزى .. بين الذكر والأنثى .. وبعد أن تولت المعامل .. إفراخ النسل .. وبزوال الحب .. زال الشعر والفن .. ولم يبق مكان للعاطفة .. غير عاطفة الزمالة .. والصحبة .. وقلما التهبت هذه العاطفة .. حتى صارت إلى هذا اللون الغامض .. الذى يربط عالم الجيولوجيا .. بصديقه .. لقد زال إتصال القلوب .. وحل محله .. إتصال الأفكار .. !

يعجز الصديق .. عن فهم العالم .. لأنه مضطرب الفكر .. وحاول تصور فهم « اللانهاية » أو « الموت » وكأنه يستعين بإلهامه الخفى .. وبإشراقه الداخلى .. !

وينتهى اللقاء بينهما .. بعد أن وصلا معاً إلى معنى « الموت » .. وما يحققه من سعادة .. ويشجعه الصديق اللطيف بنفس كلها ثقة ورجاء .. !

ذاع خبر العالم الجيولوجى .. وإنضم إليه الكثير .. وكأنه أول نبى ظهر منذ مئات الألوف من الأعوام .. فإنهم فى تعطش إلى .. « راحة مجهولة » ولكن كانت أمام العالم عقبة .. هى أشبه بالمعجزة .. يطالبه بها الجاحدون لأفكاره .. فكيف يميت الحى .. ؟ كيف .. ؟

لابد أن تعينه (قوة خفية) .. إذا كان حلمه حقاً .. ووحيه صدقاً .. وإلهامه صحيحاً .. وهنا يعود .. الشعور بوجود « الله » الله الأكبر .. إلى

الظهور فى النفس الإنسانية من جديد .. !

وتقع المعجزة فعلاً .. فإذا بنيزك ضخم من نيازك السماء .. يضرب وجه الأرض .. فيسحق رأس إنسان فوق سطح بيته .. بجوف الأرض .. ويهرع النبى وأتباعه إليه .. ليرقبوا ما حدث له .. !

وتسرع الحكومة لإستخلاصه من أيدى الأتباع .. لإعادة ترميمه .. وترفض تسليمه .. وتقع الفتنة .. ويحدث شغب هو الأول منذ عشرات الألوف من السنين .. وتنتصر الحكومة .. ويعتقل النبى .. ويقدم للمحاكمة .. فيصفه زملاؤه العلماء بأنه مخبول .. وأن خياله خطير .. فحكم عليه .. باستبدال رأسه .. وهى عقوبة تعادل إطاحة الرأس فى الأوقات القديمة .. فقادوه إلى معمل كهربائى .. وسلطوا على خلايا تفكيره أشعة خاصة .. فإذا هى تضعف .. فأحلوا محله .. تفكيراً هادئاً دمثاً بسيطاً .. لا شخصية فيه ولا عنف ولا إرادة .. ؟

وينشر صديقه وأتباعه .. فكرة خفية عن الحكومة .. مؤكدين للناس أنهم رأوا الموت فى شخص ذلك الإنسان المسحوق الرأس .. لولا أن الحكومة .. سارعت بإخفائه .. لشهدوا المعجزة .. !

وبمرور الوقت .. تشتعل العقيدة .. ليصلوا إلى فكرة « الله الأكبر » الذى فى مقدورة .. منح الإنسان .. « سعادة روحية » و « راحة علوية » . ويصل

الأتبـاع إلى فكرة تحطيم النظـام القـائم على سلطان الإله .. القـائم على « العلم » الذى أعطاهم جبروت العقل .. وسلبهم نعمة القلب .. ولذة الغريزة .. وأحاط الجسد بسياج من حديد .. ويعنى .. بخلود الجسد .. !

حطموا الآلات .. فاضطرب النظام .. وسادت الفوضى .. وتعذر وصول الغازات المغنية إلى كثير من السكان . فظهرت أعراض المرض على البعض .. وتوالت هجمات الأتباع .. واستطاعوا التجمع والإعتصام .. بناحية من الأرض .. ! وبمرور السنين .. يظهر « الموت » وبظهوره .. يظهر « الخوف » .. ثم .. غريزة المحـافظة على النوع .. ويدأ النــوع يتفرع من جديد .. إلى .. « ذكر .. وأنثى » .. وظهر « الحب » وبظهوره .. ظهر « الفن » و « الشعر » .. وهكذا حكمت الطبيعة .. بوجود الإله الأكبر .. مرة أخرى .. !

وتضيف المؤلفة بقولها :

« هذه القصة .. التى قدمها لنا .. « توفيق الحكيم » بأسلوب بارع رشيق .. تحمل لمحات .. وتصورات لما يمكن أن يحدث للعالم .. بعد آلاف السنين .. وبعد سيادة الآلة على العنصر البشرى كله .. تقصد .. الجنس البشرى فقط .. فلا يوجد حيوانات .. بعد أن إنقرضت .. منذ مئات الألوف من السنين .. أبادتها الحروب الذرية .. والكيمائية .. التى سحقت وجه الأرض .. وأبادت كل حيوان .. ونبات وطير .. فاضطر الإنســان إلى سكن جوف الأرض

بمصانعه .. ومعامله .. يتغـــذى عن طريق الآلة التى ينبعث منها غازات كيمائية .. تطلق في البيوت .. وتستمد مواردها من عناصر الجو .. وإشعاعات الأجرام .. !

ويقدم لنا « الحكيم » شكل الإنسان الآلى .. فى تلك الحقبة من الزمن .. فليس هناك فرق .. بين ذكر .. وأنثى .. فلم يحتفظا بأى فروق بينهما .. بإنتهاء الوظائف العضوية .. أصبحا صنفاً واحداً من الإنسان .. يطلق عليه إسم .. « قاطن الكوكب الأرضى » إختفى الفم . وإختفت الأسنان .. فلم يعد لهما حاجة بعد أن أصبح الغذاء .. عن طريق الآلة .. والكلام .. عن طريق نقل الأفكار من رأس إلى آخر .. وأصحابها جلوس فى صمت .. « ضمرت معدته القديمـــة .. وإختفى جهازه الهضمى .. فإذا هو رأس يفكر .. وأنف يستنشق .. به غذاء من الهواء .. وطعامه من الغازات .. ويدان ضعيفتان وساقان هزيلتان .. لقلة الإستعمـــال .. لم يعد هناك فرق بين إنسان وبحر .. وكوكب .. إنه مثلها .. خـــالد .. ومثلها لاحاجة به إلى أن يعمل .. بيديه ليعيش .. بل إنه شبه إله .. لا يلد .. ولا يولد .. يجهـــل الموت .. ويعرف الأبد .. ولا يدرك الأمس .. ولا الغد .. !

والمجتمع الآلى .. بهذه الصورة .. لا نعتبره إلا حرباً على الإنسان .. وعلى مشاعره .. وعلى عقله .. وما فطره الله عليه .. بعد أن أصبح أشبه

بالآلة .. يجد حاجته دون مشقة . إنهارت كل المثاليات المرتبطة بالعاطفة والحب .. طالت الأعمار .. بلا نهاية .. افتقر الإنسان للحافز .. وفقد الحس والجمال .. غير أن هذه الآلية .. وإن سيطرت على الحياة .. لم يتركها « الحكيم » لتعم كل الناس .. بل أكد . أن وسط هذا المجتمع .. الراكد .. وجد الإنسان الذى يعمل بعقله .. ويصل إلى الحقيقة بفطرته .. إلى الجوهر .. عن طريق المكاشفة .. والوجد .. وأعتبره أتباعه .. نبى هذه لأمة .. التى سيقودهم مجتمع الإنسانية .. !

والقصة فى إطارها العام .. وفى حبكتها تعتبر « قصة رمزية » يلتقى حولها المفكر .. وغير المفكر .. أو القارىء المتخصص .. وغير المتخصص .. حاول من خلالها .. أن يوائم بين الفلسفة والدين .. مثبتاً فيها .. أن الإنسان هو الإنسان .. فى كل زمان .. ومكان .. حتى يمكن أن يصل إلى الحقيقة بذاته .. أوتشير إلى تجربة ذاتية .. يستشعرها الإنسان .. إذا بلغ مرتبه عقلية سامية .. فيصبح متصلاً بالملأ الأعلى .. الذى يدرك عن طريقه .. أسمى .. « المعارف الإنسانية .. » !

فالبطل هنا .. فى هذه القصة .. يعتبر .. رمزاً للعقل فى صراعه مع العالم المادى .. وبعد أن وصل إلى فكرة معينة .. وحاول نشرها .. وكون أتباعاً له .. آمنوا بفكرته .. ولم تحل محاولات القوة .. دون نشرها .. فتغير

وجه الإنسانية .. وبعثت فى هذا الزمن .. وحكمت الطبيعة .. بالهها الأكبر ..
وعادت الأديان السماوية .. وعاد الشعراء يتشدون ويقولون :

« أيها الخالق الأزلى .. لك أنت وحدك .. الخلود .. والجبروت .. لنا جسم
مرتو .. وقلب متقد .. وعقل متقد .. أيتها الطبيعة الرحيمة .. لك أنت وحدك ..
عمر الأبد .. أما نحن .. فلا نريد غير الندى .. يهبط من السماء .. عند
الفجر .. ويصعد إلى السماء عند الضحى ..

✲❀✲✲

إذن .. فالحكيم يجعل « طريق الخلاص » على يد العقل .. بعد أن فقد
البشر .. كل صفاتهم الإنسانية .. وصاروا كالآلات الجامدة .. كانوا بلا
مستقبل .. لا يشعرون بالزمن .. ولا يقترب الموت منهم .. أصبحوا الآن ..
ينشدونه لأن فيه راحتهم .. وسعادتهم .. فالطبيعة .. الإنسانية .. لا تتوافق
مع الخلود .. فلا بد للإنسان .. أن يجوع .. ويعرق .. ويمرض .. ويموت ..
لتصبح نسبته إلى البشرية .. !

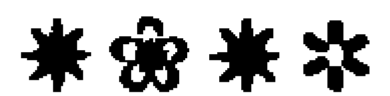
✲❀✲✲

والحكيم أيضاً .. مسرحية تدور حول الحياة والزمن .. وتبنى على فكرة :
« هل يرضى الإنسان بالخلود .. إذا توصل إليه .. وعالج أيضاً فكرة الثروات

باعتبـار أنها خاصية من خصـائص البشر .. وذلك فى مسرحية .. « رحلة إلى الغد » .. كما أننا قد سبق وأوضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب « ما تقدمه لنا مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم .. من رؤية تصورية .. للزمن .. وخلود الروح .. بل وتناسخها .. فالحياة مستمرة لا تتوقف .. بأى شكل من الأشكال .. والروح خالدة .. والجسد فان .. وما صراع الإنسان مع القوى الطبيعية .. والقوى الخفية .. إلا لإثبـات الوجود .. والرغبة فى الخلود .. ولكن .. الجسد لا يخلد .. والروح هى الخالدة .. !

إن العالم يسير إلى عصر التكنولوجيا .. وعصر الإنسان الآلى .. وعصر غزو الفضاء .. وعصر يتصارع فيه الجوهر .. مع عصر الذرة .. ولكن كل هذه الصراعات كان منبعها .. ومنشؤها .. الطبيعة .. فالطبيعة ذاتها .. قوة خارقة .. وقوة خفية .. بأسرارها .. وخباياها وهى التى تشعبت منها كل هذه العلوم .. وكل هذه الإختراعات والإكتشافات لقهرها .. أو لغزوها .. ولكن هل تمكن الإنسان من الإنتصار على قوى الطبيعة .. ؟

هل تمكن .. هل .. ؟ لا أعتقد .. ؟




علم
الفراسة
وحظوظ الإنسان

- الذكاء الإنسانى .. لا حدود له .. والعقل الإنسانى .. لا مجال فيه لتحديد هذا الذكاء .. فهو متشعب فى كافة فروع العلم .. والمعرفة .. والعلم .. يغذى هذا الذكاء .. وينميه .. ويزيد من قدراته الإبداعية الخلاقة .. بحيث تبدو بوادر ذكاء شخص ما فى لمحة عينيه .. فى إنبساط جبينه .. فى ملامح شخصيته .. وهذا الذكاء .. الخارق .. فى دراسة الشخص هو علم .. وعلم معروف .. بإسم « علم الفراسة » وهذا العلم .. والشخص الذى يجيد هذا العلم .. ولديه هذا الذكاء .. ويتمتع بحاسة سادسة قوية .. هو الذى يتمكن بقوة فراسته .. أن يحدد ملامح الشخص أمامه .. ويكشف له عن حظه .. وبخته .. بكل وسائل معرفة هذا الحظ المعروفة لدينا تماماً .. وهى .. قراءة الفنجان .. قراءة الكف .. - قراءة الكوتشينة .. ألخ .. !

وهذا بالطبع .. يمكن معرفته .. بالفراسة .. فيعتقد الشخص أنه بالفعل .. يقرأ له الفنجان .. ويقرأ له الكف .. ويعرف حظه .. وبخته .. من هذه الأساليب .. التى تدخل كلها فى علم الفراسة .. الذى يحدد أوصاف الجسم .. والرأس والجبين .. والعينين .. يدركها الإنسان الذكى بفضل فراسته القوية .. !

والفراسة .. والتوسم .. هى .. معرفة « سمة الشىء .. وعلامته » .. يقال : « توسمت فى فلان خيراً .. ! أى .. ظهرت لى منه علاماته .. وقد إشتهر

العرب بالفراسة .. وهو علم يعرف منه أخلاق الناس .. من أحوالهم الظاهرة .. من ألوانهم .. وأشكالهم .. وأعضائهم .. وهو على الجملة « الإستدلال بالخلق الظاهر .. على الخلق الباطن » :

والفراسة على نوعين :

أولهما : ما يوقعه الله في قلوب الصالحين .. فيعلمون بذلك .. أحوال الناس .. بالحدس .. والظن ..

والثاني : ما يحصل بدلائل التجارب والأخلاق .. !

فقد جاء في كتاب « السياسة .. في علم الفراسة » .. لمحمد بن الصوفي .. بأن : « إياس بن معاوية .. قد جعل الفراسة دليلاً يحكم به .. بين الناس .. وكان قاضياً .. ذكياً .. في عهد التابعين .. وتبعه قاضي القضاة .. الشامي المالكي .. ببغداد .. فكان يحكم بالفراسة في الأحكام .. جرياً على طريق « إياس » !

وقد صنف الناس .. في القديم .. والحديث .. كتباً في ذلك .. فألف فيه الإمام الرازي .. خلاصة كتاب « أرسطو » مع زيادات مهمة .. !

وعلم الفراسة .. هو علم يحاول أن يبين طبائع الإنسان .. وأخلاقه .. من سيمائه .. فالإنسان مدني بالطبع .. ولا ينفك عن مخالطة الناس .. والخير والشر .. فاشيان في الخلق .. ويوضح هذا الكتاب .. ما للمزاج من أثر على

النفس .. فالأخلاق الباطنة والخلق الظاهر .. لابد وأن يكونا تابعين للمزاج .. وإذا ثبت هذا .. كان الإستدلال بالخلق الظاهر .. على الأخلاق الباطنة . جارياً مجرى الإستدلال .. ! .

وتسند أصول هذا العلم .. إلى « العلم الطبيعى » وتفاريعه .. متقررة بالتجارب .. فكان في القديم .. مثله مثل الطب .. سواء بسواء .. ؟

وفى بيان لأقسام هذا العلم .. يقول أنه مقسم على قسمين .. أحدهما .. أن يحصل خاطر فى القلب .. بأن هذا الإنسان من صفته .. (كيت وكيت) من غير حصول أمارة جثمانية .. ولا علامة محسوسة .. والسبب أن جواهر النفوس الناطقة .. مختلفة الماهيات .. ففيها ما يكون فى غاية الإشراق .. والتجلى .. والبعد عن العلائق الجثمانية .. وفيها ما لايكون كذلك .. وكما أن النفس تقدر على معرفة الغيوب فى وقت النوم .. فكذلك النفس المشرقة الصافية .. قد تقدر على معرفة المغيبات حال اليقظة .. !

والفراســـة تحصل .. بتجلى نور رب السموات .. ومن قوى فيه نور الروح .. قويت فيه هذه الفراسة .. !

وهناك أمور فى الفراسة .. منها الإستدلال بالخطوط فى الأكف .. والأقدام .. وهى التى تسمى .. « أسراراً » وأحدها « سرر » ثم أنه يوجد لها فى التقاطع .. والتنائى .. والطول .. والقصر .. وفيما يوجد بينها من الفرج

المتسعة تارة .. والضيقة أخرى .. أشكال مختلفة .. تعتبر فى أبواب تقدم المعرفة .. ويحكم بها أصحاب هذا العلم .. على الموصوفين بها .. تارة بطول العمر .. وتارة بقصره .. وبالسعادة .. والشقاء والحظ والحرمان .. والعز .. والذل .. والغنى .. والفقر .. وكثرة الولد .. وقلته .. وهذا علم يكثر إستعماله .. فى العرب .. والهنود .. وقد قال الأعشى .. فى معاتبة من توعده :

أنظر إلى كفى .. وأسرارها ..

هل أنت .. إن أوعدتنى .. ضائرى .. ؟

*❀**

ومنذ القدم .. إستطاع البابليون .. والمصريون .. تفسير خطوط اليد .. وأجادوا هذا العلم .. وأتقنوا فنونه .. وصاروابدرجة أنهم إستطاعوا أن يعرفوا مهام الناس .. وبقى هذا الأمر غامضاً .. حتى عام / ١٤٧٥ – حيث نشر أول كتاب عن الكف .. بمدينة لوكسمبرج .. وكان إسم الكتاب :

" Die Kunst Ciromancia "

ثم تلا ذلك .. سيل من الكتب .. لم تنل خطأ من الناس .. حتى القرن التاسع عشر .. حيث بدأت دراسة الكف .. ترتقى وتسمو إلى المستوى العلمى الائق بها .. !

بيد أن إخفـاق الإنسـان فى الوصـول إلى فهم علم الكف .. فهماً

جيداً .. لم يمنعه الإخفـاق من الإستمـرار في السعى للغوص فى هذا اللج الغامض .. !

ويجدر بنا .. مادمنا بسبيل توضيح مفهوم علم الكف .. أن نشير إلى الترجمة التى قدمها كل من عمر النيحاوى .. وهيثم سرية عن هذا المفهوم .. للعلم .. والإستدلال على توصيف هذا العلم .. فالكتاب يقول أن اليد .. تنقسم إلى قسمين .. الكف .. والأصابع .. !

- بالنسبة للأصابع .. يبدأ العد فى اليد اليمنى إبتداء من اليمين :

١ – الإبهام : إصبع فينوس

٢ – السبابة : إصبع جوبيتر (المشترى)

٣ – الوسطى : إصبع زحل .

٤ – البنصر : إصبع الشمس .

٥ – الخنصر : إصبع عطارد ..

وهكذا نرى أن كل خطوط الإنسان فى علم الفلك .. وعلم الفلك .. مرتبطة بالكواكب .. وبالأبراج .. وتطبيق عملى بتأثير حركة الكواكب على سلوك البشر .. وطبائعهم .. وحظوظهم ..



– أما بالنسبة للكف .. ففيها خطوط عديدة .. بعضها واضح .. وبعضها من الصعب تبينها .. وقد تكون فى بعض الأحيان غائبة .. وتنقسم إلى سبعة أقسام وهى :

١ – خط القلب ..

٢ – خط الرأس ..

٣ – خط الحياة ..

٤ – خط القدر .. (ويدعى أيضاً خط زحل)

٥ – خط الشمس ..

٦ – خط عطارد ..

٧ – الجـذور : وهى تبـدو واضحـة .. فى أسفـل المعصم .. حين تنثنى اليد .. !

✲✷❀✷

وعلم قراءة الكف .. يتم بصورة عامة .. بقراءة اليد .. وفهمها من حيث شكلها .. وحجمها .. وخشونتها .. ونعومتها .. أو ما يرى فى هذه اليد .. من الأصابع والأنامل .. والسلاميات .. وهو ينقسم إلى سبعة أقسام :

١ – اليد الفنية (المخروطية) :

وهى تمتاز بنعومتها .. وعرض راحتها .. عند الأصابع .. وتضيق عند الرسغ .. وتكون أصابعها ممتلئة .. ورؤوسها مخروطية الشكل .. جميلة .. !

٢ – اليد المدببة (الروحانية) :

وتمتاز هذه اليد بدبدتها .. ونعومتها .. وأصابعها الدقيقة المدببة الرؤوس.. وهى من أجمل الأيدى على الإطلاق .. ولا تكون أظفارها .. إلا طويلة .. !

٣ – اليد المعقدة (الفلسفية) :

غالباً ما تكون هذه اليد .. معقدة .. وكبيرة وممتلئة .. أو هزيلة .. ولكن عقد أصابعها ظاهرة .. ورؤوسها ضخمة .. ومنتفخة .. !

٤ – اليد المربعة العملية .. أو النافعة :

تكون هذه اليد .. ممتلئة ونـــاعمة .. وراحتهــا مدببة .. كما تكون رؤوس أصـــابعها شبه مربعة .. أى غير مدورة .. وعقدها ظاهرة ولكنها .. مكسوة لحماً .. !

٥ – اليد العاملة (الملوقية) :

غالباً ما تكون هذه اليد .. ممتلئة وناعمة .. ورؤوس أصابعها مفلطحة .. وراحتها عريضة .. من إحدى جانبيها من عند الرسغ أو من تحت الأصابع .. وإبهامها كبيرة .. !

٦ – اليد المختلطة :

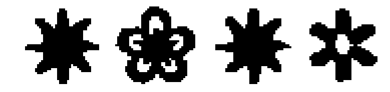
وهى اليد التى تجتمع فيهـــا كل أشكـــال الأيدى الخمس .. التى مر ذكرها سابقـــاً .. وقد يصعب على المرء تمييزها .. وتصنيفها على الوجه الصحيح .. !

٧ – اليد البهيمية (البدائية) :

وهى أحط الأيدى الإنسانية .. تمتاز بغلظتها .. وتتساوى فيها الراحة مع الأصابع .. بحيث تكون راحتها .. ضخمة صلبة .. وقد تكون أصابعها أحياناً أقصر من راحتها .. وإبهامها قصيرة ومائلة إلى الخلف .. ولا يكون فيها تناسق أو تناسب .. !

ومما تقدم .. نجد أن قراءة الكف .. علمان : علم قراءة اليد .. وعلم قراءة الكف .. فكما إستطاع العالم .. والفيلسوف السويسرى (جان لافاتير) أن يبتدع علم (قراءة الهيئة) من تركيب وجه الإنسان – حيلة الثعلب – وشراسة النمر – ووداعة الحمل .. !

إستطـاع الطبيب الألمـانى – فرانز جوزيف .. أن يتم مـا بدأه زميله (جان) – أما العالم الفرنسى – شارل دار بتتينى – فقد إكتشف علم قراءة اليد .. ومعرفة طبائع الإنسان وميوله من تركيب يده .. وشكلها .. ومن ثم أتى علماء آخرون .. أمثال روتمان .. وويتتريدج .. اللذان سميا الخطوط .. بأسمائها الحالية المعروفة لدينا .. ويمجىء هذا العلم .. ووضع فنونه التى قدمت فى الكتاب المترجم (قراءة الكف) – وقدم له هذه الدراسة (وليد ناصيف) .

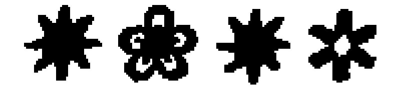


وعلم تشريح اليد .. يهدف لدراسة الأيدى .. وبالأخص خطوطها .. وكتابتها .. وأيضاً دراسة الوجه كخطوط والشكل - أى (علم الفراسة) .. !

✹❀✹✲

ولقد إشتهر علماء الفلك فى الهند بعلم الفراسة .. ودراسته على الأصول الثابتة التى ترتبط بنجم كل شخص .. من مواليد كل برج .. وكانت الطوالع التى يكشف عنها هؤلاء العلماء .. من أدق وأصدق ما عرف فى علم الفلك والنجوم والكف .. ؟

وتطور هذا العلم من متخصصين .. إلى مشعوذين وأدعياء .. وأصبحت عادة قراءة الفنجان .. وكشف البخت فى الورق والودع .. والحظ الذى تطالعنا به بعض الصحف من الأمور التى ينشغل بها الإنسان .. وتؤثر على مساره اليومى .. فإن عادة قراءة الحظ .. تصبح كالإدمان .. وتترسخ العقيدة فى صحتها .. فيسير الإنسان على هواها .. وعلى ما ينبئه به حظه اليومى .. وهذا مدعاة لعدم الإيمان .. فالإنسان قدر .. وحظوظه .. قد خطتها يد القدر .. وقوة الروح .. تقويها الإيمان والإيمان ينبع من الثقة فى عناية الله بالإنسان المؤمن المتكل عليه ..




انتصار الروح

يقول « عباس محمود العقاد » في كتابه .. « الله » .. أنه لما ولد السيد المسيح .. – كان كل ما في الشرق .. ينبيء .. برسالة مرتقبة .. وإعتقاد جديد .. برسالة تبشر بعالم الروح .. والخلاص المنتظر .. خلاص النفوس .. والضمائر بالتوبة .. ! هذا في نطاق الديانة .. !

أما في نطـــاق البحث .. والحكمة .. فإن الفلسفة كانت في ذلك العصر .. قد أوفت على غايتها .. واطلعت أعظم أعلامها .. وأكبر مدراسها .. وشاعت في البلاد الفينيقية على الخصوص .. لأن هذه البلاد .. كانت منشأ الرواقيين الســـابقين .. وكانت على إتصـــــال دائم .. بـــآسيا الصغرى .. من جهة .. وبالإسكندرية .. من جهة أخرى .. ! وهي يومئذ .. قبلة الفلاسفة والحكماء .. !

ومن هؤلاء .. من بشر بالكلمة الإلهية .. وقال أن هذه الكلمة – ويعني بها العقل الإلهي – هي مبعث كل حركة .. ومصدر كل وجود .. !

ومنهم من قال أن « الحب » .. هو أصل كل الموجودات .. ومساك جميع الأكوان .. ومنهم من وعظ بالنسك .. والعفة .. وأوصى بالشفقة على الإنسان .. والحيوان .. وحرم ذبحه .. وزعم أن له « روحاً » كانت تعقل .. في حين مضى .. وستعود إلى العقل .. بعد حين .. !

وليس أدل .. على تهيؤ الجو .. للرسالة الجديدة .. من التمهيد لها .. في

نطاق الفلسفة .. ونطاق الديانة .. فى وقت واحد .. !

فكانت دعوة « يوحنا المعمدان » .. تقابلها دعوة « فيلون » الفيلسوف الإلهى .. الذى ولد بالأسكندرية .. قبل مولد المسيح .. بنحو عشرين سنة .. وكان فيلون .. يجمع حكمة العصر .. من جميع أطرافها .. لأنه كان يهودياً .. محيطاً بثقافة قومه .. وفيلسوفاً .. محيطاً بمذاهب الفلسفة اليونانية .. ووطنياً .. مصرياً .. محيطاً بالحكمة الدينية .. التى نبعت من معين التاريخ المصرى القديم .. وامتزجت بالعقائد السرية الأخرى .. فى بلاد الرومان .. واليونان .. وآسيا الصغرى .. وأهمها .. عقيدة .. « إيزيس .. وعقيدة « أوزوريس .. سرابيس » التى تأسست .. بالإسكندرية .. وتفرغت فى أثينا .. وبومبى .. وروما .. وبعض الموانىء الأسيوية .. وكانت لهذه الديانة .. مراسم خفية .. فيها المريد على أيدى الكهان .. والرؤساء فى المحاريب السرية .. وأول هذه المراسم .. التطهير .. أو هى – صلاة البعث – التى يتقدم إليها المريد .. كأنه « ميت بالروح » بطلب « الحياة بالروح » أو يطلب الخلاص من إرهاق الجسد .. وخبائث اللذات والشهوات .. ويعتبر بعدها من الواصلين إلى حظيرة الرضوان .. !

وكان لتفسير هذه الرموز .. أثر فى نفس فيلون .. لرموز الديانة الإسرائيلية .. على أضواء الفلسفة اليونانية .. ووصل من ثم .. إلى الإيمـان

« بالعقل الإلهى » أو الكلمة " Logos " كأنها « ذات » لها صفات الذات الإلهية .. !

بل .. لقد وجد من وعاظ « بنى إسرائيل » أنفسهم .. قبل عصر المسيح .. فى كتب « أخنوخ » يعلمون تلاميذهم .. أن الحكمة خلقت الإنسان من سبعة عناصر .. فخلقت اللحم .. من التراب .. والدم من الندى .. والبصر من نور الشمس والعظام من الحجارة .. والذكاء من السحب والملائكة .. والعروق من العشب .. والروح من أنفاس الله .. وأن خلق الأرواح .. سابق لخلق الدنيا .. بأرضها .. وسمائها .. لأنها عنصر خالد .. لا يزول .. !

* ❀ * ✲

– وفى هذا الجو .. المتطلع إلى .. « الرسالة الروحية » ولد « المسيح » .. وكان يستمع العظات من « يوحنا المعمدان » ويتقبل « العمادة » من يديه – فلما قتل يوحنا .. لم يرهبه مصرعه الأليم .. ونهض بأمانة الدعوة بعده .. فى بلاد الجليل .. ثم فى بيت المقدس .. وفى الهيكل الأكبر .. معقل الأحبار والكهان .. ؟

وكانت بشارته .. أعظم فتح .. فى « عالم الروح » .. لأنها نقلت العبادة من المظاهر والمراسم .. إلى الحقائق الأبدية .. أو نقلتها من عالم الحس .. إلى عالم الضمير .. !

فلم ينتظر ملكوت الله فى حادث من الحوادث الدنيوية الكبرى .. أو الصغرى .. بل علّم الناس أن ملكوت الله .. قائم فى ضمائرهم .. وموجود فى كل حقبة .. وفى كل مكان .. « ولا يأتى .. على موعد مرتقب .. ولا يقولون هو ذا هنا .. أو هو ذا هناك .. لأن ملكوت الله .. فيكم » .. !

ولم يشهد التاريخ .. قبل السيد المسيح .. رسولاً .. رفع الضمير الإنسانى .. كما رفعه .. ورد إليه العقيدة كلها .. كما ردها إليه . !

فقد جعله كفؤاً للعالم بأسره .. بل يزيد عليه .. لأن من ربح العالم .. وفقد ضميره .. فهو مغبون فى هذه الصفقة الخاسرة .. « وماذا ينفع الإنسان .. لو ربح العالم كله .. وخسر نفسه .. وماذا يعطى الإنسان .. فداء عن نفسه .. !

والطهر كل الطهر فى نقاء الضمير .. فمناط الخير كله فيه .. ومرجع اليقين كله إليه .. « فليس شىء من خارج الإنسان .. يدنسه .. بل ما يخرج من .. الإنسان .. هو الذى يدنس الإنسان .. !

ويستمر عملاق الفكر عباس محمود العقاد .. فى تحليل رسالة المسيح .. كما جاء فى كتابه « الله » .. فيقول .. أيضاً :

– وهناك حياته .. وبقاؤه ..

« فليس حياته .. من أمواله .. !

وهناك .. قوامه .. وطعامه .. « فليس بالخبز وحده يحيا .. بل بكل كلمة

من كلمات الله .. » « والحياة أفضل من الطعام » .

وكان ينعى على القراء .. والعاكفين على التلاوات .. ومراسم العبادة .. فرط الولع بظواهر الأفعال .. دون حقائق الإيمان .. ويقول لهم .. :

« نقوا الكأس من داخلها » .. فظاهرها .. لا يضير .. !

وكان ينكر كل ما يراد به الظاهر .. ولا ينبعث من أعماق الوجدان .. فلا إحسان عنده .. لمن يترا ءى بالإحسان .. لأنه تاجر .. أخذ ربحه .. فلا حق له عند الله .. « إحترزوا من صدقة تصنعونها .. أمام الناس .. وإلا .. فلا أجر لكم .. عند أبيكم الذى فى السموات .. وإذا بذلت الصدقة .. فلا تنفخ أمامك بالأبواق .. كما يفعل المراءون .. تفاخراً بين الناس .. فالحق أقول لكم .. إنهم قد أستوفوا أجرهم .. فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك .. فأبوك الذى يرى فى الخفاء .. يجازيك علانية .. » وكل شىء فى عالم الحس .. ينقاد لقوة الضمير .. « فلو كان لكم إيمان كحبة الخردل .. لأمرتم هذه الشجرة أن تخرج من منبتها .. وتنغرس فى ماء النهر .. أو قلتم لهذا الجبل أن يتزحزح فيتزحزح من مكانه .. !

وعلى تبشيره بالرحمة .. والمحبة .. لم يكن ينكص عن الثورة .. فى عالم الروح .. لأنها هى الثورة .. التى تستحق أن تثار « جئت لألقى ناراً .. فماذا على .. لو إضطرمت النار .. ؟ »

فجـانب « الضمير » هو الجانب الذى توجهت إليه رسالة المسيح .. ورعاية الله .. لروح الإنسان .. هى الملاذ الذى رأى الناس منصرفين عنه .. فعاد بهم إليه .. !

وكانوا يؤمنون بالله الخالق .. وبالله الذى ينزل عليهم الشرائع ويحاسبهم على الطاعة .. والعصيان .. ولكنهم نسوا رعاية الله .. ولم يريدوا أن يحبوه .. كما أرادوا أن يصفوه .. فعلمهم أن « الله محبـة » .. وأن أقرب الناس إلى الله .. من أحب الله .. وأحب خلق الله .. ومنهم .. المطرودون .. والعصاة .. ولا يستحق غفرانه .. من لم يتعلم .. كيف يغفر للمسيئين .. « إن أخطأ أخوك فوبخه .. وإن تاب فاغفر له .. وإن أخطأ إليك سبعاً فى اليوم .. وتاب .. سبعاً فى اليوم .. فاقبل توبته .. واغفر له .. !

وقد أشار السيد المسيح .. إلى نفسه .. بتعريفات كثيرة .. رواها عنه الإنجيل .. فكان إذا تكلم عن نفسه قال : « أنا ابن الإنسان » .. أو « أنا نور العالم » أو .. أنا خبز الحياة .. أو .. أنا الطريق والحق .. والحياة .. أو أنا القيامة والحياة .. أو .. « أنا الراعى الصالح .. » وأنا المعلم والسيد .. وأنا الكرمة الحقيقية .. ولم يذكر نفسه باسم المسيح .. ولكنه بارك الحوارى بطرس .. حين سماه به .. وقال له :

« إنه إهتدى إلى حقيقته .. بنفحة من نفحات الروح .. »

✲ ✱ ❀ ✱

وفى ضمير الإنسان .. شعور أصيل بالواجب الأدبى .. وقسطاس مستقيم يوحى إليه أن يعامل الناس .. كما يحب أن يعاملوه ..

وهذا الوحى الذى أودعه الله .. النفس الإنسانية .. ضمن باسعاد من يطيعونه .. وحسن الجزاء لهم .. من الله .. !

ولكنهم لا يسعدون فى كثير من الأحيان .. وقد يسعد الآثمون .. ويشقى العاملون بالواجب فى هذه الحياة .. !

فلا بد من عالم آخر .. يتكافأ فيه واجب الإنســـــان .. وجزاؤه .. وهذا هو .. البرهان الأدبى .. على « خلود الروح » وحرية الإنسان .. !

وليس أمامنا كما يقول العقاد : غاية مثالية بوسائل المعرفة الميسورة .. غير « سعادة الإنسانية » وتقديس أمثلتها العليا .. فى الخير .. والحق .. والجمال .. !

❋❀❋✲

ويقول عباس العقاد :

ولم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله .. فى كتب من كتب الأديان المنزلة كما تكررت فى القرآن الكريم .. !

فليس فى التوراة .. ولا فى الإنجيل أكثر من إشارات عارضة إلى الملحدين الذين ينكرون وجود الله .. !

فالقرآن الكريم .. قد خاطب الأحياء بلغة الحياة .. وخاطب العقلاء .. بلغة العقل .. حين كرر برهان الحياة .. وبرهان النسل .. فى إثبات وجود الخالق الحكيم .. !

فلقد كان الأقدمون يقولون بالإله (المقيد) .. لأنهم يؤمنون بتعدد الآلهة أو بوجود الهين أثنين .. يتناظران .. ويتغالبان .. وهما « إله الخير .. وإله الشر .. » أو إله النـور .. وإله الظلام ولما شاع الإيمان بالتوحيد .. بطل القول .. بالإله المقيد .. لأن الإله الواحد .. لا يحده شيء .. ولا تحيط به القيود .. والنهايات .. وكل ما قبلته العقول الفلسفية فى حقه .. أن قدرته .. جل وعلا .. لا تتعلق بالمستحيل .. ولم يقبـل بعض المتكلمين .. حتى هذا القـول .. لأنهم رأوا أن الإسـتحالة .. نوع من التقييد الذى تتنزه عنه .. قـدرة الله . !

ثم عرف الناس .. أن الأرض .. كرة .. سيارة .. تدور فى الفضاء .. كما يدور غيرها من السيارات .. !

وعرفوا مذهب .. النشوء .. والتطور .. فقال لهم دعاته .. أن الإنسان .. حى .. كسائر الأحياء .. التى نشأت على الأرض .. وتحولت بها أحوال البيئة من طور إلى طور .. ومن طبقة إلى طبقة .. فى مراتب المخلوقات .. !

فتواتر القول .. بما كان لهذين الكشفين من الأثر الخطير .. فى نظرة الإنسان إلى الكون .. ونظرته إلى نفسه .. ونظرته إلى حقيقة الحياة .. !

كان يحسب أن الأرض .. مركز الوجود .. وأنه هو .. مركز الأرض .. أو غاية الخلق كله فى الأرضين .. والسماوات .. !

وكان يحسب أنه شىء علوى .. تسخر له الأحياء الأرضية .. ولا يحسب أنه فرع من فروع الشجرة .. التى نبتت منها سائر الفروع .. !

فتغير نظره إلى الكون .. ونظره .. إلى نفسه .. !

ولكن .. هل تغير نظره إلى الله .. !

لم يكن ذلك حتماً لزاماً من نتائج العلم .. بدوران الأرض .. أو العلم بمذهب النشوء .. والإرتقاء .. لأنهما خليقان أن يحدا من قدر الإنسان .. ولكنها لا يحدان من قدره الله .. !

وغاية ما هنالك .. أن هذين الكشفين قد زعزعا عقائد أناس من المتدينين الذين أخطئوا فهم الدين .. فحسبوا أن الدين .. يفرض عليهم الإيمان .. بدوران الشمس .. حول الأرض .. وإنقطاع العلاقة الجسدية بين الإنسان .. وسائر المخلوقات .. أما الذين تعقلوا هذين الكشفين .. فلم يغيروا إيمانهم بالله .. بل وجدوا فيهما دليلاً جديداً .. على إتساع الكون .. وإنتظام قدرة الله فى خلقه .. من أهون الأشياء .. إلى أرفع الأحياء .. !

فمن أين إذن .. جاءت هذه النزعة الحديثة .. من بعض الفلسفات العصرية التى تؤمن بوجود الله .. ولكنها تقيده .. بقوانينه .. أو تقيده بنواميس المادة .. والقوة .. ! أو تفرط فى هذه الوجهه .. فتزعم أنه من ثمرات التطور فى الكون الشامل .. أو أنه عنصر من عناصره التى تضبطه أحياناً .. وتنضبط به فى كل حين .. !

ليس ذلك من مذهب النشوء والإرتقاء .. ولا هو من إيحاء القول .. بدوران الأرض فى الفضاء .. كما جاء فى بعض الآراء .. ولكنه من نتائج .. الأطوار الإجتماعية .. وليس من نتائج .. الكشوف الفلكية .. أو العلمية .. وأشبه الأطوار الإجتماعية .. بإيحاء هذا المعنى هو طور .. الحكومة المقيدة .. فى السياسة الأرضية .. !

لقد كان الإنسان يؤمن بأنه مركز الوجود .. ولكنه كان يخضع للملوك المطلقين .. فلم يكن فى وسعه أن يتخيل كيف يجوز الحساب أو التقييد على ملك الملوك فى جميع .. الأرضين .. والسماوات .. !

وفى فلسفة « جون ستيوارت » ميل فى الدين من رسائله الثلاثة .. فالرسالة الأولى .. عنوانها .. « الطبيعة » وخلاصتها :

- أن « سلوك الطبيعة » ليس بالسلوك الذى يحتذيه الإنسان فى طلب الكمال .. وأن الإنسان خليق أن يروضها ويقودها .. لا أن يتخذها قدوة له .

فى آدابه ومعاملاته .. ومن ثم لا يرى .. أنها من خلق إله رحيم .. قادر على كل شىء .. لأنها قد أفعمت بالقسوة والألم .. والعذاب .. وقلما يظفر الإنسان منها .. بخير .. أو بركة غير ما يحصله هو .. بالسعى الحثيث .. والجهد الشديد .. !

والرسالة الثانية .. عنوانها : « فائدة الديانة » .. وخلاصتها .. أن الديانات قد أفادت قديماً فى تعليم الإنسان .. مكارم الأخلاق .. ومحاسن العادات .. وكانت هى المرجع الوحيد الذى كان يرجع إليه فى التفرقة .. بين الحسن .. والقبيح .. والمباح .. والمحظور ولكنها قيدت عقله بأحكامها .. وفروضها .. فأعجزته عن التفكير فى مضامينها .. والتخلص من عيوبها .. وعنده .. أن العقائد الإنسانية .. كافية فى تهذيب الناس .. وقيادتهم .. بعد زوال العقائد التى تقوم على ما وراء الطبيعة .. لولا مزية لهذه العقائد .. لا توجد فى العقائد الإنسانية .. وهى :

« تعزية النفس .. برحمة الله .. ودوام الحيـــاة .. فى العـــالم الآخر .. ولا مـــانع عقلاً .. ولا علمـــاً .. فى رأى (ميل) أن يصح وعد الحيـــاة .. بعد الموت .. !

والرسالة الثالثة : عن « الربوبية » وفيها يعترف الفيلسوف .. بنظام الكون .. ولا يستريح إلى تفسير ظواهر الحياة .. .. بمذهب النشوء والإرتقاء .. إلا

أنه يعود فيقــول .. أن هذا النظام .. لا يثبت وجود الإله القادر على كل شيء .. ولا يلزم منه أن مدبر الكون إله مطلق القوة .. والكمال .. لأن الدنيا .. على ما فيها من النظــام .. لا تخلو من الآفات .. والشرور التي لا يرتضيها إله .. وهو قادر على تبديلها .. فالله موجود .. مريد لخير المخلوقات وسعادتها ..

وغــاية ما أثبته هؤلاء الفلاسفة (التطوريون) أن العقل .. أرقى من الحياة .. وأن الحــياة أرقى من المــادة .. وأن العــالم يستقيم في طريق الإرتقاء .. !

ومن أكبر العلماء « سير أرثر أدنجتون » الذي يقول أن تفسير الكون .. بالحركة الآلية .. أمر لا يسيغه العلم الحديث .. وأن الكون أحرى أن يفسر .. بالنسب الرياضية في عقل عاقل .. ولكن الإنسان .. هو سر الكون الأكبر .. وهو الذي يدرك هذه النسب .. ويدرك ما بين عقله .. وعقل الكون من علاقة وثيقة .. وأنه إذا جاز للحركة الآلية أن تخلق في المستقبل .. « إنساناً آلياً » فليس مما يجوز في العقول .. أن تتخيل ذلك الإنسان سائلاً عن الحقيقة أو مبالياً بأسباب الحق والباطل .. ولكن هذا الشوق إلى الحقيقة .. هو .. هو .. لب لباب الحياة .. وهو .. هو .. محور الوجود الإنساني .. منذ نجم من صلب هذه الطبيعة .. وهذا هو الذي يجعل الإنسان .. شيئاً مغايراً كل المغايرة ..

لما حوله من الظواهر الطبيعية .. ويجعله قوة روحانية .. ومتى إرتفعت الصيحة من قلب الإنسان .. فيم كل هذا .. ؟ لم تكن جواباً صالحاً لتلك الصيحة .. أن ننظر إلى هذه التجارب التى نتلقاها من حسناً .. ونقول :

« كل هذه ذرات .. وفوضى .. وهو كرات نارية .. تحوم .. وتحوم .. إلى القضاء المحتوم .. كلا .. بل الأحرى أن نفهم أن كل هذا .. وراءه .. « روح » يستوى الحق فى محرابها .. وتكمن فيها .. قوابل .. لتنمية الذات .. بمقدار ما فيها .. من النزوع إلى تلبية .. « عناصر الخير .. والجمال .. !

– فالروح .. قوة عليا .. متى إنتصرت على رغبات .. وضعف الجسد .. تنمو المشاعر السامية .. وتتسامى الروح .. لترقى إلى سماوات عليا من الفضائل .. ويحقق الإنسان كل ما يصبو إليه .. دون اللجوء إلى .. معرفة الحظ .. أو البخت .. أو التنجيم .. ومتى تسلح الإنسان بالعلم والإيمان .. يمكنه فعل المعجزات .. !

✱ ❀ ✱ ✲

– وهذه قصة عجيبة المفارقات – لتوفيق الحكيم »

« معجزات .. وكرامات » :

إستيقظ الراهب مبكراً .. كعادته .. لم تسبقه غير العصافير الناهضة من أعشاشها .. وقام إلى صلاته .. وعبادته .. وعمله في تلك البيعة . من إقليم الشرق .. فقد كان ذلك القسيس .. روحها .. ونورها .. ! له عند رجال الدين منزلة .. وله عند الناس إحترام .. وكانت أمام الباب نخلة صغيرة .. غرسها بيده .. وإعتاد أن يسقيها قبيل الشروق .. وأن يتأمل الشمس وهى تبزغ .. طرفها فى الأفق .. أحمر كالبلحة .. ثم ترسل أشعتها إلى السعف المندى .. فتسقط عنه .. قطرات الفضة .. لتلفه فى خيوط الذهب .. !

فرغ القسيس فى ذلك الصباح .. من سقى النخلة .. وهم بالدخول .. وإذا أمامه جماعة .. يبدو عليهم الغم والحزن .. تجرأ واحد منهم .. وقال بنبرة الضراعة :

- أبونا .. أنجدنا .. وليس من ينجدنا غيرك .. إمرأتى على فراش الموت .. وهى تلتمس منك أن تباركها قبل أن تلفظ النفس الأخير .. !

- أين هى .. ؟

- فى قرية مجاورة .. والمطايا حاضرة .. وأشار الرجل إلى حمارين

مسرجين .. فى الإنتظار .. فقال الراهب :

- إنى على إستعداد .. يا أبنائى .. تمهلوا .. حتى أرتب شئونى .. وأخبر أخوانى .. واعود إليكم .. لتمضوا بى .. !

فقالت الجماعة فى صوت واحد :

- لا نملك دقيقة .. ! المرأة تحتضر .. وربما وصلنا إليها .. بعد فوات الأوان .. إمضى معنا .. الآن من فورك إذا أردت أن تكون بنا .. باراً كريمـــاً .. وبالمرأة التى تموت .. منقذاً رحيماً .. والمكان قريب .. وستذهب .. وتعود .. قبل أن تستقر الشمس فى الضحى .. !

- هلموا بنا .. !

قالها القسيس بصوت فيه حماسة الشهامة .. وحرارة المرؤة .. وتقدم .. والجماعة خلفه .. حتى إقتربوا من الحمارين .. فأركبوه على أحدهما .. وركب زوج المحتضرة .. على الآخر .. وإنطلقوا خارج البلد .. وجعلوا يضربون فى الأرض ساعات .. والقس يسأل عن الموضع .. وهم يحثون الحمار بالنخس قائلين .. « وصلنا » . !

فلما لاحت لهم القرية .. إلا وقد إنتصف النهار .. ودخلوها .. فاستقبلهم كلابها .. بالنباح .. وأهلها بالترحيب .. وتوجه الجميع إلى دار بالقرب من .. « داير الناحية » وقادوا القسيس إلى قاعة .. وجد فيها المرأة طريحة على

فراش .. وقد شخصت ببصرها إلى السماء .. ناداها .. فلم تجب .. فهى من المنية على قاب قوسين .. فشرع يستنزل عليها بالبركة .. ولم يكد يفرغ من ذلك .. حتى لفظت آهة طويلة .. شفعتهـا .. بشهيق عميق .. ظن معه القسيس .. أن روح المرأة تفيض .. ولكن أهدابهـا إرتعشت .. ونظراتها لانت .. وتلفتت تهمس :

– أين أنا .. !

فقال القسيس دهشاً :

– أنت هنا .. فى دارك ..

– على بشربة ماء .. ؟

فصاح أهلها من حولها :

– « هاتوا القلة » :

وتسـابق القوم إلى الإناء .. فأحضروه .. وشربت المرأة طويلاً .. وتجشأت .. ثم قالت :

– أما من طعام .. ؟ إنى جوعى .. !

فبادر كل من فى الدار .. يأتى إليها بطعام .. وطفقت المرأة تلتهم الأكل .. والعيون من حولها .. تلتهمها دهشة وعجباً .. !

ثم تركت فراشـها .. ونهضـت .. تمشى فى الدار .. كاملة الصحة موفـورة العافية .. !

عندئذ .. خر القوم على يدى القسيس ورجليه .. يشبعونها لثما .. وتقبيلاً ويصيحون :

– أيها الرجـــل المبارك .. لقد حلت بركتك فى الدار .. وأحيت بركتك الميتة .. ماذا فى قدرتنا أن نعطيك وفاء منا بالجميل .. !

فقال القسيس .. الذى أذهله الحادث :

– إنى ما صنعت شيئاً أستحق عليه أجراً .. أو شكراً .. ولكنها « قدرة الله » ! فقال صاحب الدار :

– سَمها ما شئت .. إنها على كل حــــال .. معجزة .. آراد الله أن تتم على يديك أنت .. أيها الأب المبـــارك .. ولقد حللت فى دارنا المتواضعة .. وإنه لشرف .. وبركة .. ونعمة .. ولابد أن نقوم بحق الضيافة .. على قدر ما تسمح به حالنا .. !

وأمر بحجرة منعزلة .. فأعدت للضيف .. وكلما أستأذن القسيس فى الإنصراف .. حلف صاحب الدار بكل محرج من الأقسام .. أن لا يدع .. ضيفه المبارك .. يذهب قبل ثلاثة أيام .. فهذا أقل ما يجب نحو من أنقذ حياة إمرأته .. وجعل يحفه بالعناية .. ويغمره بالتكريم .. حتى إنقضت مدة الضيافة .. فأسرج المطية وحملها بالهدايا .. من فطير وعدس .. ودجاج

ووضع فى يد القسيس خمسة جنيهات لصندوق الكنيسة .. ولم يكد يشيعه إلى الباب .. ويقيمه على الحمار .. حتى أقبل رجل يلهث .. وإرتمى على قدم القسيس .. يتوسل ويقول :

- أبونا .. حديث معجزتك بلغ القرى المجاورة .. ولى عم فى مقام أبى .. على فراش الموت .. وهو يأمل فى بركتك .. فلا تترك روحه تصعد .. قبل أن تحقق أمله .. !

فقال القسيس متردداً :

- ولكن يا بنى .. قد تهيأت للعودة .. !

- هـــذاأمر لن يستغرق منـــك وقتـــاً .. لن أدعـــك حتى تذهب معى إلى عمى .. !

وأمسك بزمام الحمار .. وسار به .. فقال القس :

- وأين عمك .. هذا .. ؟

- ها هنا على مسيرة دقائق .. فلم ير القس بداً من الإذعان .. وسار مع الرجل ساعة .. إلى أن دخل القرية الثانية .. ورأى فيها داراً كالدار الأولى .. ومريضـــاً على فراش قد أوشك على الموت .. وحوله أهله .. يتقلبون بين اليأس .. والرجاء .. فما أن دنا القس من المريض .. وإستنزل عليه الدعـــاء بالبركة .. حتى حدثت المعجزة .. فإذا المحتضر .. يهب قائماً ..

يطلب الطعام والشراب .. والقوم من الأمر فى دهشة .. ويحلفون بالإيمان الغليظ أن يؤدوا نحو الراهب المبـارك .. واجب الضيافة .. ثلاثة أيام .. بالتمام .. !

وأنقضت مدة الضيافة .. بين تكريم .. وحفاوة .. وعناية .. وشيعوا الضيف إلى أبواب القرية .. مثقلاً بالهدايا .. ؟

وإذا رجل من قرية ثالثة .. يفد عليه .. ويدعوه إلى زيارة قريتهم .. لتحل فيها البركة .. ولو لمقدار ساعة .. فإن شهرة القسيس المبارك .. قد طبقت جميع القرى .. وما إستطاع القس من الرحيل خلاصاً .. ولا فكاكاً .. فقد قاد ذلك الرجل .. لجام الحمار .. وذهب به إلى دار قريته .. ووجد فيها غلاماً كسيحاً .. ما أن لمسه القس .. حتى نهض يركض على قدميه .. ويجرى .. بين تهليل أهل الدار .. وهتاف الصغار والكبار .. وأقسم الجميع على أداء واجب الضيافة .. نحو صاحب المعجزات ..

فأدوها على أحسن وجه .. ثلاث ليال .. لا تنقص ليلة .. أسوة بغيرهم .. حتى إذا إنتهت المدة .. قاموا إلى الضيف .. فأضافوا هدايا جديدة .. إلى ما معه من هدايا .. حتى كاد أن ينوء بها حماره .. ونفحوه من المال .. فوق ما منح فى القريتين السابقتين .. وساروا خلف مطيته .. وهم يقولون :

– نحرسك بقلوبنا .. ونفديك بأرواحنا .. ولن نسلمك إلا إلى ذويك .. فأنت

عندنا .. تساوى ثقلك ذهباً .. !

فقال القس ولم يفطن إلى عبارتهم :

– سأحملكم بعض المشقة .. ولكن الطريق غير مأمونة .. والعصابات اليوم

.. منتشره فى الإقليم .. كما تعلمون .. فقالوا :

– حقاً .. إنهم هنا .. يخطفون الآن .. الرجال .. فى رابعة النهار .. !

وساروا خلف القس .. يتحدثون بمناقبة .. ويفيضون بذكر معجزاته ..

وهو يصغى إلى حديثهم .. ويتأمل ما وقع .. وأخيراً صاح :

– حقاً .. هذا شىء عجيب .. عجيب ماذا حدث لى هذه الأيام .. !

أترى إلى بركتى وحدها .. يعود الفضل كله .. فى هذه المعجزات ..

فقالوا له :

– وهل تشك فى ذلك .. !

– إنى لست نبياً .. حتى أقوم بذلك كله .. فى سبعة أيـــام .. ولكنكم

أنتم .. أنتم الذين جعلتمونى أصنع هذه المعجزات .. !

فقالوا جميعاً .. فى صوت واحد :

– نحن .. ؟ نحن .. ؟ ماذا تعنى .. ؟

– نعم .. نعم .. أنتم .. أنتم المصدر الأول .. !

فتبادلوا النظرات .. وهمسوا :

– من قال لك هذا .. !

فمعنى القس .. يقول باقتناع :

– إيمانكم .. إيمانكم .. إيمانكم .. !

إنه « الإيمان » جعلكم تحققون كل ذلك . إنكم لا تعرفون .. ما فى نفس المؤمن من قوة .. الإيمان قوة يا أبنائى .. الإيمان قوة .. ! المعجزة ثاوية فى قلوبكم .. كالماء في الحجر .. لا يفجرها .. غير الإيمان .. !

وظل بمثل هذا الكلام .. يتحدث .. والقوم من خلفه .. يهزون رؤوسهم .. وأمعن فى حماسة القول .. وحرارة الوعظ .. فلم يفطن إلى القوم خلفه .. وهم يتسللون .. الواحد بعد الآخر .. مختفين .. فما أن بلغ حدود بلده .. وثاب إلى نفسه .. والتفت خلفه .. ليشكر مشيعيه .. وحارسيه .. حتى عقد لسانه العجب .. لم يجد خلفه .. أحداً .. إلا الحمار الذى يحمل أشياءه .. ولم تطل دهشته .. فقد وجد ذويه .. وإخوانه .. ومرؤوسيه من رجال الكنيسة يندفعون نحوه .. يضمونه .. ويلمثون يده .. وعبرات الفرح .. والتأثير .. بادية عليهم .. وتماسك واحد منهم .. وقال :

– عدت إلينا سالماً أخيراً .. لقد وفوا بوعودهم .. فليأخذوا الأموال وليعطونا « أبونا » .. كل مال فداك .. فداك يا سيدنا .. !

وفطن القس إلى كلمة المال .. فصاح :

– أى مال .. ؟

– المال الذى دفعناه للعصابة .. !

- أي عصابة .. !

- التي خطفتك .. لم ترض بأقل من ألف جنيه أول الأمر .. قائلين : « أن ثقلك يساوى ذهباً .. ولكنا توسلنا إليهم .. أن يقبلوا النصف .. فرفضوا .. أخيراً .. ودفعنا لهم دية إرجاعك من صندوق الكنيسة .. خمسمائة جنيه .. !

فصاح القس :

خمسمائة جنيه .. خمسمائة .. جنيه .. دفعتموها من أجلي .. من أجلي أنا .. أقالوا لكم .. أني كنت مخطوفاً .. ؟

- نعم .. بعد إختفائك بثلاثة أيام .. وقالوا لنا .. أن عصابة قد إختطفتك في الصباح .. وأنت أمام الباب .. تسقي نخلتك .. وأقسموا لنا .. إنك هالك .. إن لم ندفع لهم .. ديتك .. أما إذا دفعنا .. فإنك تحضر لنا سالماً .. بعد ثلاثة أيام من الدفع .. !

فتـأمل القس هذا القول .. وكر بذاكرته إلى مـا وقع .. وقـال كالمخاطب نفسه :

- حقاً .. هذا معقول .. هؤلاء الموتى .. والمرضى .. والعجزة .. الذين هبوا ناهضين من بركتي .. يالها من براعة .. !

وأقبل ذووه من جديد .. يفحصون جسمه .. وثيابه .. قائلين فرحين ..

- كل شيء يهون لاسلامتك .. يا « أبونا » .. لعلهم لم يسيئوا إليك في أيام خطفك .. ما صنعوا لك .. ؟

فقال وهو ذاهل :

– جعلونى أصنع معجزات .. ولكنها .. معجزات .. قد كلفت الكنيسة .. ثمناً باهظاً .. !

❀✲

فهذه القصة .. وإن دلت على شيء .. أو معنى .. أو مغزى .. فهى تدل على ألوان من نفوس البشر .. فهؤلاء القوم .. الماكرون .. يستحلون طيبة نفس .. لقس .. ورع .. مؤمن .. بخديعة .. ومكر .. وهذا ما نقصد إليه .. من بسط هذه القصة .. كما سبق وأوضحنا أن هناك من يستغل طيبة أشخاص .. فيمكرون بهم ويتحايلون عليهم .. حينما يدعون معرفة الغيب .. أو الكشف عن المستقبل .. أو ما شابه ذلك من أساليب الدجل والشعوذة .. التى كثيراً ما تخدع النفوس الطيبة .. !

– حقاً .. إن روح الدين .. أكثر خلوداً .. وقوة الإنسان .. فى إنتصار روحه .. على طغيان قوى خفية .. تدمر من معنوياته .. وتقلقل إيمانه .. بخلق .. وخالق .. وروح .. وقدر .. وجوهر النور حسن .. فاضل .. كريم .. صاف .. نقى الريح .. حسن المنظر .. وجوهر الظلمة .. قبيح .. ناقص لئيم .. كدر خبيث .. ؟ .. قبيح المنظر .. وهذا من مذهب الحكيم « مانى » الذى زعم أن

العـــالم .. مصنوع مركب من أصلين .. قديمين .. أحدهمـــا نور .. والآخر ظـلام .. وأنهما أزليـــان .. لم يـــزلا .. ولن يزالا .. قويين .. حســـاسيين .. سمعين .. بصيرين .. وهمـــا مع ذلك .. في النفس .. والصـــورة .. والفعل .. والتدبير متضـــادان .. وفي الحيز متحـــاذيان .. تحاذى .. الشخص .. والظل .. !

وهذا المذهب من مذاهب المانويه – كما جاء في كتاب (الله – للعقاد) مذهب يخالف مذهب المجوس الأقدمين .. في زعمه .. أن آدم .. من خلق الشيطان لا من خلق آدم .. وأن الشيطان أودعه كل ما إستطاع أن يختلسه من نور السماء .. ليكفل له البقاء .. فلما بصر الملائكة .. ولمحوا فيه قبس النور .. ذهبوا يستخلصونه من قبضة الشيطان .. ليرتفعوا به .. إلى العالم الذي هم فيه .. ولا يزالون يعملون .. في إستخلاصه حتى يرجع إلى السماء .. آخر قبس من الضياء المسروق .. فيتجلى الله .. في سمائه .. ومن حوله .. تلك الأرواح النوارنية .. ويتخلى الملائكة الذين يحملون الدنيا .. عن حملهم .. فتتساقط كسفاً .. وتلتهمها النيران تطهيراً لها .. من بقايا الرجس .. والمكيدة .. ويتم الإنفصال يومئذ .. بين عالم النور .. وعالم الظلام .. !

أما الفلاسفة .. (سقراط وأفلاطون – وأرسطو –) فلم تخل فلسفة لهم قط عن فكرة دينية .. وإن طلاقة (أرسطو) في مباحثـة العلمية ..

والفلسفية .. لم تخرجه من سلطان الفكرة الدينية فى القول .. بالهيولى والحركة الأولى - فلولا « الإيمـان » بالخـالق .. والمخلوق .. والروح .. والجسد .. لما خلص (أرسطو) إلى الصورة .. والمـادة .. والتفرقة بين العقل .. والهيلولى .. !

وأول المشهورين من فلاسفة اليونان (طليس المليطى) الملقب بأبى الحكمـاء .. كان يقول كما قالت الأديان من قبله .. أن الماء .. أصل كل شىء .. وأن الروح تحرك المادة .. فما من متحرك إلا وهو - ذو روح - أو منقاد لذى روح - ولا يستطيع المغناطيس مثلاً .. أن يجذب الحديد .. إلا بروح فيه .. !

*❀**

وأهم ما يتصل بالفكره الإلهية .. فى هذه البحوث التى يقدمها (العقاد) - هو البحث فى القضاء والقدر .. والبحث فى ذات الله .. وصفاته .. فالله عادل حكيم .. وهو خالق كل حى .. وكل موجود .. وهو يأمر .. وينهى .. ويعاقب على الطاعة .. والعصيان .. ؟

فكيف يكون التكليف .. ؟

وكيف يكون الثواب .. والعقاب .. ! إن الإنسان .. مخلوق مسخر .. لا

يملك لنفسه .. ضراً .. ولا نفعاً .. فكيف يحاسب على ما قضاه الله عليه .. هل هو حر .. مريد .. قادر على الخروج من مشيئة القدر .. إن أراد .. ؟ فكيف يكون حراً .. مريداً .. من مخلوق بأفعاله .. وبإرادته .. وبكل ما يحيك بنفسه .. ويوسوس فى ضميره .. !

وإذا كان مقيداً .. مكرهاً على فعله .. ونيته .. فكيف نفهم ما جاء فى القرآن الكريم من الآيات .. التى تسند إليه العقل .. وتنذره بالعقاب : « اليوم تجزى كل نفس .. ماكسبت ..) « اليوم تجزون بما كنتم تعملون .. » وتعد مسألة - القضاء والقدر - أو مسألة العدل الإلهى - تابعة فى الواقع .. لمسألة الصفات فى جملتها .. ولكنها سبقتها .. لأن مسألة .. القضاء والقدر - من المسائل الدينية .. البحت .. التى تعرض للمؤمن .. بمعزل عن الفلسفة .. ولا تعرض للفيلسوف إلا إذا أعتقد .. الحساب .. والعقاب .. فى عالم آخر .. كما يعتقدها .. أصحاب الأديان .. !

فالله .. كامل .. الكمال .. مرمدى مطلق الدوام .. خلق الأرواح .. والأجساد .. أو خلق الروح والمادة .. جوهرين مختلفين .. وزود المادة .. بمقدار من الحركة .. لا يزيد .. ولا ينقص .. وجعل لها قوانين .. أو نواميس .. لا تخرج منها .. إلا بإذنه .. وتقديره .. وقد يشاء الله .. خلق العادات .. بل يشاء تغيير الحقائق .. الرياضية .. والبراهين .. البديهية .. لأنه هو ..

خالق كل شيء .. وقدرته تحيط بكل شيء .. وكل ما أراده .. فهو ممكن .. وهو معقول .. لصدوره منه .. ورجوعه إليه .. ولا يزال الخلق متجدداً .. بلاإنقطـاع .. لأن الخلق إنمـا يقوم بالخالق الدائم .. ولا يفرغ عمله في وقت محدود .. !

وقد حاول « ديكارت » أن يقيم .. بين العقل والمادة .. قنطرة .. تنتقل بها المؤثرات .. بين هذين الجوهرين المختلفين .. فقال :

« أن الغدة الصنوبرية في الدماغ .. هي الحلقة المتوسطة بين .. « روح الإنسان .. وجسده » وقد رأينا مما تقدم .. أن بعض العلماء .. يؤيدون هذا القول .. ويدعمونه .. بالمشاهد .. والإستقراء .. لكن « ديكارت » لم يعن بإيجاد مثل هذه القنطرة .. بين – الله .. والعالم – لأنه كما يفهم من مجمل آرائه .. يرى : « أن قدرة الله .. في غنى عن ذلك .. الوسيط .. »

وقد قال تلميذه « لويس دى لافورج » « أن تأثير الأجسـام .. في الأجسام .. واقع .. مفروغ منه .. »

ولكننـا .. إذا حاولنا فهم الحقيقة .. التي يقع بهـا التأثير .. لم يكن أيسر فهماً من تـأثير الأرواح .. في الأجسام .. ولولا الواسطة الإلهية .. لما وصلت الأفكار نفسها .. إلى « العقول .. والأرواح .. !





والإنسان ...
قرية؟

- هل الإنسان .. مسير أم مخير .. ؟

سؤال حائر .. يتجاوب بين النفس .. والعقل .. والروح .. !

وهل نحن فى هذه الحياة .. مسيرون .. أم مخيرون .. ؟

يقول بعض من يفهمون هذه الحياة .. أن المرء منا .. لا يستطيع أن يقوم بأمر ما .. بإرادته .. وإختياره .. وإنما يسير مكرهاً .. مسلوب القدرة والإرادة .. أمام القدر .. فهو إذن ليس مخيراً .. !

وأصحاب هذه الفكرة .. أو هذا المذهب .. يشبهون الإنسان .. بريشة معلقة فى الفضاء .. تعصف بها الرياح .. كما تشاء ولا يكون من أثر ذلك علينا - كما يقول د . رؤوف عبيد - إلا الضيق بهذه النتيجة التى لا تتفق مع كرامة الإنسان . ولا مع مسئوليته .. ولا مبادئه .. ولا حريته .. ولا إرادته .. ؟

والقدر كما يقول - لا يخبط خبط عشواء فى تتابع أحداثه .. إنما تقديرنا نحن .. لأسباب القدر .. هو الذى يخبط خبط عشواء .. لأننا لا نملك التقدير الصحيح .. وتستوى فى ذلك .. العناصر التى قد نعزوها إلى جانب التيسير فى أمور الحياة مع تلك التى قد نعزوها إلى جانب التخيير فيها .. !

وهذا الذى يصدق على أخطر الأحداث .. التى غيرت مجرى التاريخ .. يصدق .. بنفس المقدار على أتفه الأحداث التى قد تبدو أنها لم تغير شيئاً منه على الإطلاق .. فهل هناك مثلاً : أتفه من الدمعة التى قد تذرفها أى عين

فى الترح .. أو فى الفرح .. !

إننا عندما نحاول أن نبحث عن مدى التسيير فيها .. أو .. التخيير .. نجد أن هذه العوامل وتلك .. متداخلة فى تركيب هذه الدمعه .. تداخلاً تاماً .. بحيث يصح القول .. بأن هذه الدمعة .. تمثل – معنوياً – تركيباً من النوعين معاً .. كما تمثل – مادياً – تركيباً من عنصرى الأوكسجين والأيدروجين اللذين تتكون منهما .. ؟

وعوامل « التسيير .. والتخيير .. فى تتابع الأحداث .. تنتمى إلى نواميس الطبيعة .. كما تنتمى إلى إرادات الأشخاص الذين نعاملهم .. وإلى إرادتنا نحن أيضاً .. وبالتالى إلى أسلوبنا فى مواجهة الأحداث .. والأشخاص .. أى فى النهاية .. تنتمى إلى موقفنا من « نواميس الكون » . وإن شئنا – القدر – هذا الموقف الذى قد يمثل جانب – التسيير – فى هذه الدمعة .. التى لم تنزف هباء .. ولا يمكن أن تجىء جزافاً .. كما لا يمكن أن تجىء جزافاً .. أى قطره ماء .. أو أية هبة هواء .. فى هذا الكون غير المحدود كله .. !

* ❀ * ✲

وهذا الإعتقاد – كما يقول الدكتور رؤوف عبيد فى تساؤله .. فى كتابه .. « هل الإنسان مسير .. أم مخير .. ! كفيل وحده .. أن يبعث فى النفس ..

دافعاً .. بالأمن والسلام .. والتسليم .. بسيادة إرادة الله .. على إرادة الإنسان .. بحكمة الله .. وبحماقة الإنسان .. بعدل الله .. وبظلم الإنسان .. بكمال الله .. وبنقص الإنسان : ومع نقص محدودات هذا الإنسان : إلا أن الله .. قد جعله فى نفس الوقت يتمتع بقدر كبير من حرية الإختيار .. مظهرها .. الإشتراك فى تسيير الأحداث .. كوسيلة لتحقيق رسالة النمو .. والإرتقاء .. على أروع صورة .. وأكمل وجه .. داعياً له .. بنمو هذه الحرية فى الإختيار .. وفى تحكيم العقل والإرادة .. !

إذن .. فمن المحال .. إذا كان الأمر كذلك .. أن تكون أحداث الحياة .. محض تسيير .. أو محض تخيير .. أو أنهـــا .. محض خير .. أو محض شر .. أو أنها محض إيثار .. أو محض أثره .. بل أنها نتاج تزاوج محكم .. بين كل أمرين .. قد يبدوان لعقولنا .. متضادين .. وهو تزاوج يعمل عن طريق السببية .. ويعمل بمهارة .. وبغير إضطراب .. بمقتضى نواميس سارية للأخذ بيد إرادات غير سامية .. وفى النهاية .. لإنجاح الحياة .. وتطورها .. فى طريق التناسق النهائى .. بين بعض عناصرها .. والبعض الآخر .. !

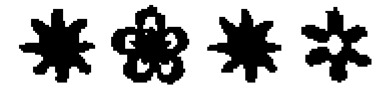
وهكذا تنتصر فى النهاية .. إرادة الخير .. على إرادة الشر .. والطغيان .. مهما حمل الشر والطغيان من أوصاف براقة شتى .. من الخير .. والصواب .. بل ومن التقوى أن يسائل كل واحد منا نفسه دواماً :

– أين موضعى أنا .. من كل هذا الصراع الخطير .. بين الخير .. والشر .. بين النجاح والفشـــل .. بين التقدم .. والجمود .. ؟ وإلى أين المسير .. أيتها الذات .. الحائرة .. القلقة .. ؟

وإذا إمتنـــع الفـــم .. عن الجواب .. فلا أقــل من أن ننصت ملياً .. إلى الصـــوت الصـــادق الوحيد فى هذا الكـــون الفسيح .. وهو .. صـــوت الضمير .. !

ومحاولة الإتساق الصحيح .. مع النواميس الكلية .. هى طريق التحرر الكامل .. وتحقيق الذات فى أكمل معانيها .. وصورها .. وهى الطريق لتحقيق « الإيمان الواعى » .. والإنسان الطموح إلى الكمال فى دوام .. لتحقيق تناسق الشخصية .. بحيث لا يفترض إنتهاءه من التطور والكمال .. فهو فى تطور أبدى .. يتكامل فى دوام .. ولا يفرض نفسه بما أدرك .. وقدر .. على مادونه .. بقدر ما يكون أباً رحيماً .. كريماً .. فياضاً بالحنان والرحمة .. معلماً .. يأخذ بيد الحيارى إلى مستوى أرقى .. وأكمل .. وتلك رسالة الكاملين فى كل جيل .. !

والإنسان مع القوانين .. لا يلغى الإرادة الإنسانية .. فالإنسان كائن روحى .. ويطالب هذا الإنسان دائماً بالإرتباط الروحى .. والمعنوى .. هذا الإرتباط الذى يحقق لنواميس الطبيعة أداء رسالتها .. فى كيان هذا الإنسان الذى هو جزء من الطبيعة نفسها .. !



أما (ابن الطبيعة) المفكر الكبير محمـــــد زكى عبد القادر فله فلســـفته الخاصة فى طبيعة الإنسان .. وفى تشكيل هذا القالب الجسدى .. الذى يشكل بالفعل جزءاً من الطبيعة .. هذا الإنسان الدائم الصراع بين نواميس هذه الحياة .. القاهرة أحياناً .. القادرة أحياناً .. والغادرة أحياً .. تتأرجح هذه الصراعات دائماً .. بين الخير والشر .. وصراع الإنسان معها .. ومع قوى الطبيعة دائم .. لا ينتهى .. !

وحول هذا المحور الصغير .. الخير والشر .. تدور الحياة كلها .. ويدور كل من فيها .. وكل ما فيها .. !

والرأى للفكر .. التحليلى .. هو أن الإنسان يولد .. وفيه بذرة الخير .. والشر .. لمجتمع يتفـاعل معه .. ولكنه لا ينشىء جديداً .. فى نفسه لا وجود له .. ولا يأخذ منه شيئاً هو بطبيعته قائم .. بالخلقه .. والموت .. !

راقب الأطفال .. وهم فى طراوة أعمارهم .. .. فى الثانية منها .. أو الثالثة ألا ترى بينهم العدوانى الشرس .. والرقيق المسالم .. ؟

ألا ترى فيهم .. من يريد الإستحواذ على أى شىء .. ألا تقوم بينهم .. المشاحنات والمشاجرات .. ! ليس هذا فقط .. بل بينهم من يتظاهر بالضعف .. وهو شرس .. ومن يدبر الحيلة .. للإيقاع بالآخر .. ألا ترى فى مجتمعهم الطفولى .. صورة من مجتمع الكبار .. !

– من علمهم .. ! من أودع فيهم .. ما أودع من قسوة .. أو رحمة .. كراهيـــة .. أو حب .. ! من أمانة .. أو غدر .. ! لا تقل المجتمع .. ولا تقل الأسرة .. إنها .. الطبيعة .. الطبيعة هى صاحبة النشـــأه والمولد .. كل منا يولد .. وفيه بذرة الخير .. والشر .. كما أن فيه .. نوازع النمو .. والحياة .. وبواعى الموت .. والفنـــاء .. لا شىء يطرأ على الإنســـان .. لا الشر .. ولا الخير .. لقد ولد بهما .. !

وأحياناً يغلب الشر على الخير .. وأحياناً .. يغلب الخير على الشر .. وأحياناً يتساويان .. فالصراع بينهما .. سجال .. أحياناً تسكن الموازين .. وأحياناً ترجع كفة على أخرى .. لا سياده لأحدهما .. طول الوقت .. ! ولا إنسحاق لأحدهما طول الوقت .. الصراع دائم .. ولا إستمرار للحياة .. بغير الصراع .. ومع ذلك .. فإن كلا منهما يجمع بينهما .. فى داخله .. الفضائل .. والرذائل .. !

أما عن إفتراق الحظوظ بين الناس .. فيقول زكى عبد القادر .. – هناك واحد محظوظ .. فى كل شىء .. وغيره .. متعوس فى كل شىء .. وصدق أحمد شوقى حين قال :

– جعل الأرض جماناً وحصى ..

خالق الإنسان .. من ماء .. وطين ..

فوليد .. تسجد الدنيا له ..

ووليد .. فى زوايا .. المهملين .. !

✲ ✱ ❀ ✱

والحكمة فى هذه الدنيا .. أن هناك أشياء كثيرة .. نعجز عن فهمها .. ولا بد .. مع المحاولة فى الفهم .. أن نسلم .. بأن هناك ما يجاوز الفهم .. والإدراك .. ويجاوز قدره العقل .. على الإحاطة .. والشمول .. !

ويكفى .. بأنه بالرغم من الحياة .. بكل ما فيها من إقتران فى الحظوظ .. والهبات .. والمواهب .. وما فيها من قسوة .. وظلم .. وإنحراف .. تسير .. وتزدهر .. وتتقدم .. وتتطور .. ويتمسك الناس بها .. ولا يعدلون بها شيئاً .. أليس فى هذا دليل على أنها .. محكمة النظام .. وأن ما نحسبه فيها نقصاً .. أو جوراً .. ليس إلا جوهراً من جواهرها .. وسبباً من أسباب بقائها .. !

لماذا إذن .. يحاول الناس .. أن يقارنوا الحظوظ ويكافحوا .. ؟

إن تدخل الناس .. هذا الذى لم ينقطع عن البحث عن الحظ .. والقسمة .. والرزق .. فلا يجب أن يندب الإنسان حظه .. فالحق أن كل الناس متساوون فى الحظوظ .. والفرق هو .. الإنعكاس على كل إنسان .. بذاته .. وأن من حكمة الحياة .. أن كل إنسان .. ميسر لما خلق له .. وأن القدرة على

الإحتمال .. تأتى على ما يمكنك أن تتحمل .. !

ويقول هذا المعلم .. هذا الفيلسوف .. الذى فهم الحيـاة .. وعارك أحداثها .. وحلل مفارقاتها العجيبة .. التى تتدخل فى مصير الإنسان ..

« تختلف الأقدار بين الناس .. بالعمل .. وبالخلق الأساسى الذى يبنى عليه الحظ .. فالحظ .. تعبير غامض .. كل واحد .. يبرر به أخطاءه .. ولا تسمع خرافة الحظ .. إلا من الجاهلين .. والكسالى .. والمتخلفين .. فالعمل .. والعمل وحده .. هو الذى يرفع أصحابه .. !

والإنسان .. ماهو إلا أداة .. للقدر .. أو إرادة عليا .. تسيره .. وما نسميه بالحظ .. ما هو إلا .. القدر .. ؟

فالإرادة العليا .. هى القدر .. ليس هناك شىء إسمه حظ حسن .. وحظ سىء .. إنه فقط لم يكن موفقاً .. بمعنى أن هذا الإنسان كسلان .. يبدد طاقاته فيما لا يفيد .. ! إن نجاح أى إنسان فى الحياة .. يستند على مواهب .. وهذه المواهب ليس للإنسان فضل فيها .. لقد أعطيت له .. أبداً لا نلوم إنساناً فاشلاً .. ولا نعلى من قدر إنساناً ناجحاً .

ويقول محمد زكى عبدالقادر :

– أننى لا أعتقد إن هناك إنســان يأخذ من الحياة أكثر مما تعطيه الحياة .. إذا ما أعطته ذكاء .. إرادة قوية .. صلابة جسدية .. فإن عناصر

النجاح هذه .. لا فضل له فيها .. ؟

« أديسون » عظيم بالإرادة العليا .. التى أوجدته .. !

دائماً الدنيا تعطى .. وتأخذ .. التوازن دائماً موجود .. بصورة .. أو بأخرى .. للرجل الذكى .. ذكاء .. لا حد له .. وللغبى .. غباء لا حد له .. !

إن العدل الإلهى .. قائم .. ليس العدل الإلهى فقط .. بل هو أيضاً عدل الطبيعة .. !

بمعنى : أن الزلازل .. والبراكين .. إنها تدمر عمارات .. بيوت .. مصانع .. كل شىء .. كل شىء .. هو من عمل الطبيعة .. ويبدو أنه شيئاً سيئاً .. ولكن فى مجموع الكون .. ينتج عنه خيراً . !

– الحروب دافعة للتقدم .. وينتج عنها خير .. يجب أن لا ننظر إلى الحياة .. بمنظار شخصى .. لابد أن نفهم .. أن كل شىء .. وكل تصرف .. يقع فى الحياة .. من الناس .. ومن الطبيعة .. لابد وأن يكون .. ضرورياً .. !

****

ويقول أنيس منصور في كتابه .. « طريق العذاب » :

إن العلم الإنساني « يؤكد للإنسان .. أنه ليس شيئاً ذا قيمة في هذا الكون .. ولا يهم .. إن عاش .. أو مات .. كأن لم يكن .. !

ومن المضحك أيضاً .. أن العلم الحديث .. الذي أكد لنا ضخامة هذا الكون .. يؤكد لنا .. أيضاً .. تفاهة الإنسان .. حياته .. وموته ودوره في الحياة .. ودوره أمام الموت .. فمن القضايا التي أبرزت فعلاً في الديانة المسيحية .. أن الله .. قد تحول إلى إنسان .. من أجل خلاص الإنسان .. ولكن هذا الإنسان .. بالنسبة للكون .. ليس شيئاً هاماً .. فهل معنى ذلك .. أن يكون هذا الخلاص قد تكرر في كل مكان .. يكون فيه إنسان .. أو كائنات مثل الإنسان .. !

ولكن العقل الإنساني .. إهتدى إلى أشياء رائعة .. ومروعة .. ردت إليه شيئاً من الإعتبار .. لا كل الإعتبار .. !

فـاكتشـاف « أينشتين » لنظرية النسبية .. تقول لنا نحن غير المتخصصين .. :

« أن الإنسان في هذا الكون كله .. هو مجرد كائن يتفرج من فوق جسم متحرك إلى أجسام أخرى متحركة .. فالأرض تتحرك .. وكل ما حول الأرض .. يتحرك .. أو الإنسان يركب سفينة .. تعبر المحيط .. وينظر إلى القمر .. أو

إلى الشمس .. فهو يمشى فوق السفينة .. والسفينة تمشى فوق الماء .. والأرض تتحرك بالمـاء .. والقمر يتحرك أمـام الأرض .. ولكن الإنسان الذى يتفرج .. هو أيضاً يؤثر فى المناظر التى يراها .. فالإنسـان ليس متفرجاً فقط .. إنه متفرج .. يمثل فى المسرحية .. التى يتفرج عليها .. والعقل يقول لنا .. أن هنـاك ملايين من المتفرجين .. على أرضنا .. وعلى كـواكب أخرى .. !

فالإنسان لم يعد شيئاً تافهاً .. وإنما هو سيد .. ليس السيد الوحيد .. لكنه أحد ملايين من السادة فى ملايين من السنين .. على ملايين .. الملايين من .. الكواكب الأخرى .. !

واكتشاف آخر .. إهتدى إليه « فرويد » يقول :

« إن الإنسان .. ليس هو العقل الذى يرى .. ويدبر .. أو الإنسان ليس هو الذى نتحدث إليه .. بالمنطق .. وإنما فى داخل الإنسان كهف .. محيط عميق .. لا قرار له .. هذا المحيط هو .. « اللاشعور » .. وهذا « اللاشعور » هو مستودع التاريخ الإنسانى .. والحيوانى كله .. !

وهو أيضاً مستودع التاريخ الشخصى .. والعائلى .. فليس الإنسان كائناً واحـداً . وإنما هو ملايين الكائنات .. العاقلة .. والمجنونة .. والمتوحشة .. والخائفة .. !

فإذا كان الكون يحيط بالإنسان ويحيره .. فهناك كون آخر .. فى داخل الإنسان .. أعمق .. وأعظم من هذا الكون .. الخارجى .. !

والعقل الإنسانى .. بتركيبه العجيب .. المعقد .. أعظم من تركيب الكون المحيط بنا .. وإذا كان فى الكون نجوم تلمع .. ففى العقل الإنسانى .. أفكار تلمع .. وتبهر .. وإذا كانت الأكوان المحيطة بنا .. أجساماً مشتعلة : مترابطة .. بقوانين دقيقة .. فإن العقل الإنسانى .. أعظم .. وأروع .. وإذا كان علماء الفلك .. يرون فى دقة الكون .. وعظمته .. دليلاً على عظمة الله .. فإن تكوين الإنسان .. أكبر دليل على عظمة الخالق .. فليس نجوم السماء .. هى التى تبهرنا .. ولكن .. ما يدور فى نفوسنا .. وعقولنا .. هو الذى يبهر .. ويحير .. !

وإذا كان النظر إلى السماء يجعل الإنسان .. يشعر بضآلته .. فإن التأمل فى النفس .. يجعل الإنسان .. يشعر بعبقرية وعظمة الذى خلقه .. وخلق الكائنات الحية كلها .. !

وأن إكتشـــاف اللاشعور هذا .. والإستغراق فيه .. هدانا إلى شىء جديد .. وهو أن الإنسان إذا كان يريد الحياة .. فهو أيضاً .. يريد الموت .. دون أن يدرى .. فهناك .. غريزة حب الفناء .. فليس الموت سيفاً يسقط على رقابنا .. فجأة .. وإنما الموت سيف نتطلع إليه .. ونصنعه .. ولا ننتظره ..

وإنما نضعه تحت أعناقنا .. ونتقلب عليه .. !

وهذا سر أيضـــاً من أسرار هذا العالم العجيب .. الذى نحمله فى أعناقنا .. التى هى أعمق من البحر .. وأكثر التهاباً من النجوم .. وأشد وحشة .. من الغابات .. وأعمق ظلاماً .. من الليل .. !

ويعود الغموض إلى كل ما فينا .. ومن حولنا ليتردد فى عقولنا .. وقلوبنا من جديد .. ولتنحنى عقولنا .. من داخل رؤوسنا .. وتنحنى رؤوسنا .. أمام الحقيقة الكبرى .. « وما أوتيتم من العلم .. إلا قليلاً .. !

* ❀ * *

والآن أعتقد أن الكثيرون من المفكرين .. والعلماء .. بل والناس العاديين قد عرفوا بأنفسهم .. حقيقة قول الدكتور « آلكسيس كاريل » مؤلف كتاب .. الإنسان .. « ذاك المجهول » وأحد الحاصلين على جائزة « نوبل » .. أن الصلاة .. من أعظم الموارد الحرارية للإنسان .. إنها كمعدن الراديوم .. مصدر للإشعاع .. ومولد ذاتى .. للنشاط .. وبالصلاة يستعين الناس لشحذ نشاطهم .. حين يتحدثون بضراعة إلى تلك القوة .. التى تساعدهم .. كل مرة يطلبونها .. ولن أرى إنساناً تضرع إلى الله .. إلا ووجد نتيجة حسنة .. !

وقد تعرف الأميـــرال « بيرد » إلى مضمون .. « ربط الروح بالقوة

الكبرى .. المسيطرة على الخليقة » .. وكان تصرفه ذلك .. هو الذى مكنه من الخروج من المحنة المريرة التى عاشها .. فأوردها فى كتابه .. « وحيد » .. !

ففى عام / ١٨٣٤ - عاش هذا الرجل خمسة أشهر .. فى كوخ مطمور فى الثلوج .. وكان الإنسان الوحيد الذى يعيش فيما وراء خط العرض .. الثامن والسبعين .. كانت العواصف الثلجية .. تزأر حواليه .. فلا معين له فى تلك البقعة المنزوية البعيدة عن عالم الأحياء .. وكاد يقتله أول أكسيد الكربون الصـــاعد من الموقد فما عساه يفعل فى هذه الأزمة .. ! كاد الغاز يقضى عليه .. وحاول إصلاح الموقد .. فلم يفلح .. وحاول إصلاح جهاز التهوية .. وكذلك لم يفلح أيضاً .. ماهو الحل .. ! إن المعونة التى يمكن أن تنشله .. على مبعدة .. / ١٢٣ / ميلاً .. تقريباً .. وتحتاج فى الوقت نفسه .. إلى مسير أيام بطولها .. وبلياليها .. وكان أكثر ما أثر عليه هو الخوف .فالخوف هو ألد أعداء الإنســـان .. وأعتقد أنه هالك لا محالة .. وأن مكانه هو .. مقبرته .. !

وبعد أن أفاق من غيبوبته .. أحس أنه بحاجة إلى الكتابة .. الفلسفية .. وما أغزر الأفكار الفلسفية فى فترة كهذه .. فكتب .. « ليس الجنس البشرى وحده فى هذه الخليقة .. إن الكواكب السيـــارة .. إن الحيوانات .. إن النباتات .. هى رفيقة الإنسان فى حياته » ..

إن هذا الإحساس .. بأنه غير وحيد .. فى الكون .. بالرغم من وحدته .. هى التى أنقذته .. !

ترى لماذا يعيش الإنسان فى سعادة وهناء .. عندما يستشعر الإيمان بالله فى قلبه .. ؟

سؤال كهذا .. سنترك « وليم جيمس بيرد » يجيبنا عليه .. « إن الأمواج العاتية .. التى تحطم أقوى قوة تعترضها .. إن الثورة التى تحدثها تلك الأمواج .. لا تستطيع أن تعكر صفو القاع العميق .. كذلك الإنسان المؤمن .. لا يمكن أن يعكر صفوه تلك التموجات السطحية .. التافهة .. »

فلماذا لا نتوجه إلى ربنا ساعة يربكنا القلق .. ولماذا لا نرسخ إيماننا بالله .. لا سيما ونحن فى أشد الحاجة إليه .. لماذا .. .. ولماذا .. ولماذا .. لا نربط أرواحنا .. بتلك « القوة الخفية » القادرة .. على قهر الإنسان فى أية لحظة .. يعصيها .. لماذا .. ؟

***

ويقول توفيق الحكيم :

فالإنسان ليس إله هذا العالم .. وهو ليس فى الوجود حراً .. ولكنه .. يعيش .. ويكافح .. داخل إطار .. الإرادة الإلهية .. هذه الإرادة .. التى

تتجلى للإنسان أحياناً .. فى صور « غير منظورة » من عوائق وقيود .. وعلى الإنسان .. أن يكافح لإجتيازها .. والتغلب عليها .. إن قضية العصر اليوم .. وهى التى تقــوم على حرية الإنسان سواء بإعتباره فرداً .. أو باعتباره جماعة .. إنما تتحد وتتلاقى .. فى أمر واحد .. هو « إنكار الله » وإنكار القوى غير المنظورة التى تؤثر فى مصير الإنسان وهذا مالا يسلم به أحد .. عقلاً .. وإيماناً .. ؟

ومصير الإنســان .. مهدد أشد تهديد .. بقوة .. أشد خطراً من تلك القوى .. هذه القوة الخطرة .. هى التى تتفجر من صميم قدرته .. كما تتفجر النواة فى الذرة .. إن حكمة الإنسان - خصوصاً فى عصرنا الحديث .. ليست هى التى توجه مصيره .. بل الذى يوجه مصيره .. هو قدرته .. ؟

وشعور الإنسان بعجزه أمام مصير يحفزه إلى الكفاح .. وليس إلى التخاذل .. وشعور الإنسان بعجزه .. أمام القوى المؤثرة فى مصيره .. ليس مؤداه التشاؤم .. بل إلى التفاؤل .. وشعور الإنسان الداخلى .. بأنه مرتبط دائماً بجهاده أمام تلك « القوى الخفية » غير المنظورة .. والتى لها قبضتها القوية على كيان ومصير الإنسان .. شىء مرفوض تماماً .. فى حياتنا المعاصرة اليوم .. وبالعمل .. والإرادة .. والإيمان .. يمكن التغلب على كل هذه المؤثرات الغيبية .. التى تؤثر على سعادة البشر .. ؟

*** *

فهـــرس

« الجزء الثالث »

من كتاب : القوى الخفية .. بين الغيبيات « والمعتقدات »

« الكتاب القادم »

« السعادة .. وهل توجد فى حياتنا المعاصرة .. ؟

رقم الإيداع ٣٨٢٩ / ١٩٨٩

القاهرة الحديثة للطباعة

احمد بهى الدين الخربوطلى

٣ شارع الجد بالفجالة

تليفون : ٩٣٤٣١٠

هذا الكتاب

فى هذا الجزء من كتاب " القوى الخفية .. بين الغيبيات والمعتقدات " .. تطوف بنا المؤلفة فى آفاق الكون .. وتسبح بنا فى عالم الفضاء والكواكب .. والنجوم .. هذه القوى التى غزاها العلم .. وتوصل أو خيل إليه أنه توصل إلى معرفة أسرارها .. بما لم يتح للعقل البشرى .. فى يوم ما .. أن يتوصل إلى معجزات الخالق فى ملكوته ..

كما يتضمن أيضا .. تحليلا سريعا " لعلم الفراسة " .. الذى يبنى عليه .. التكهن .. بمعرفة الشخصية الإنسانية .. وخطوطها الأساسية .. فى محاولات معرفة المستقبل .. وقراءة الغيب ...بطريقة علمية ..

وتنتصر الروح .. وترتفع لتسمو بقوتها الروحانية .. على كل هذه المعتقدات .. ليعرف الإنسان نفسه فى النهاية .. فالإنسان .. روح وجسد .. يفنى الجسد .. وتبقى الروح ..

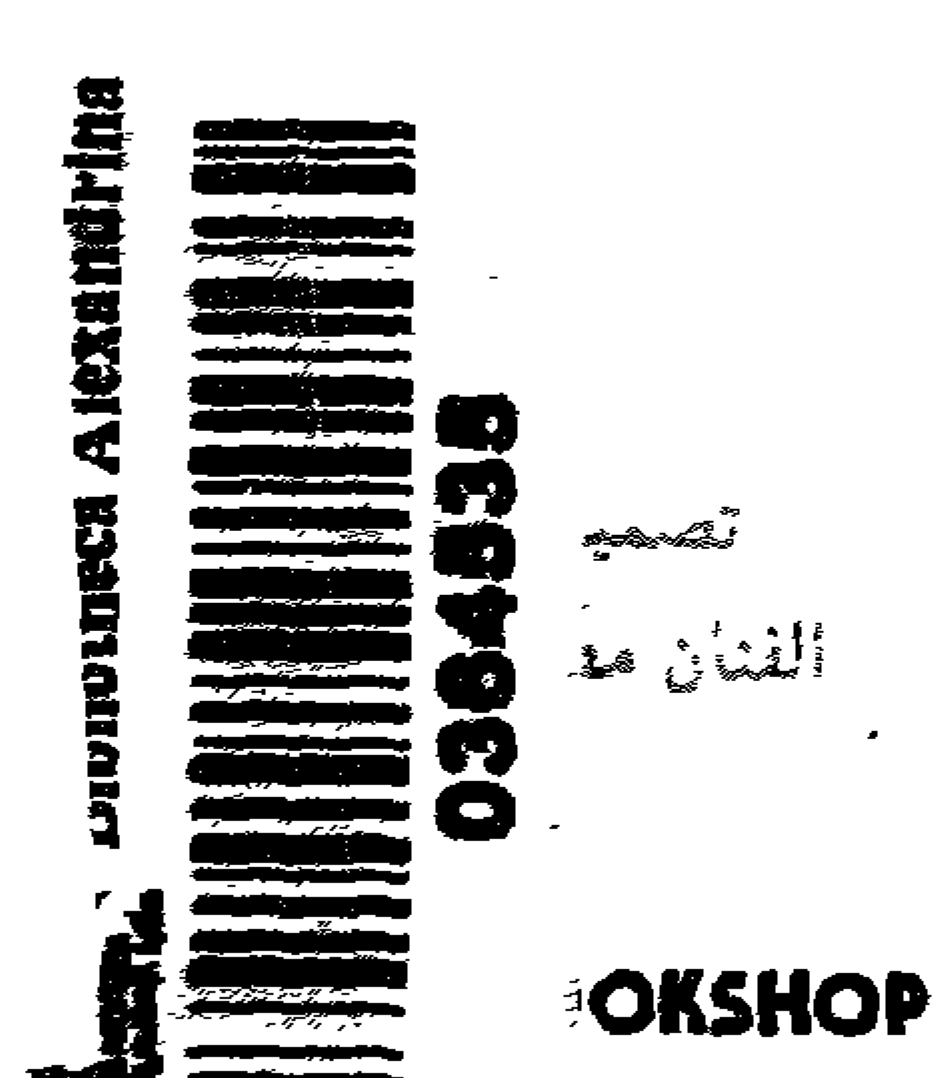
" والإنسان .. قدر .. " حفرت بصمات حياته .. ومستقبله .. فى لوحة القدر .. وحظيرة الإيمان ..

الكتاب القادم للكاتبة الأديبة /
لوسى يعقوب
" السعادة .. وهل توجد فى حياتنا المعاصرة ؟ "



مؤلفة هذا الكتاب

لوسى يعقوب " رائدة فكر "



تصمي
الفنان مد



OKSHOP
مكتبة المحبة